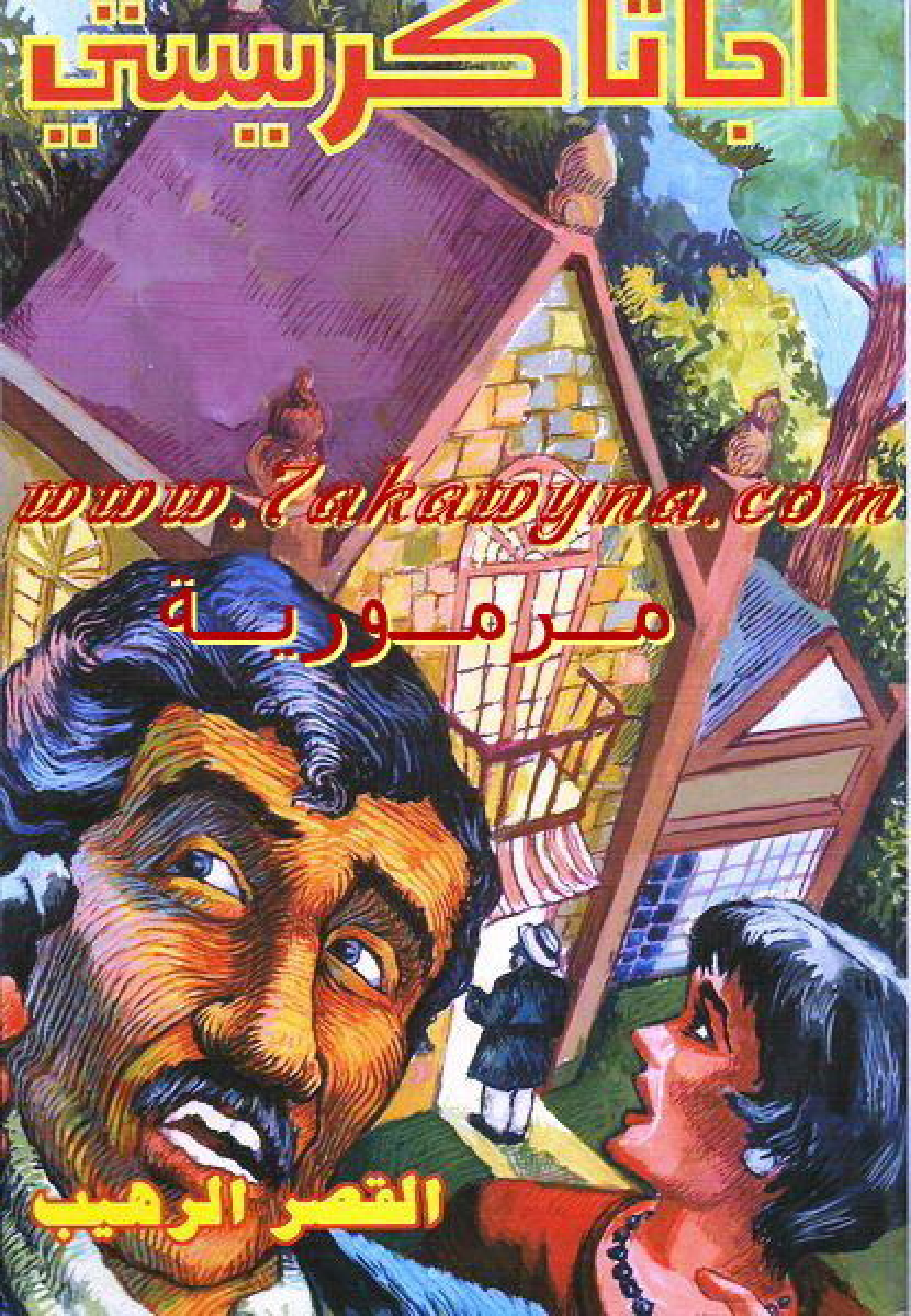


أجاثا كريستي
www.7akawyna.com
مرمورية
النمر الرهيب



أجاثا كريستي

(1890 - 1976)

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعًا. تميّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون، ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

القصر الرهيب

The Hollow

لأن السيدة «أنجكاتيل» مولعة بالعقول التحليلية، فقد قامت بدعوة «هركيول بوارو» إلى حفلتها في منزلها خلال العطلة الأسبوعية، وعندما وصل «هركيول» إلى الوادي تفحص أحد التابلوهات المعقدة الرسم، وقد أثار فضوله بركة الدماء التي يرقد فيها الطبيب، بينما تقف زوجته مذعورة تحمل بندقية وسط ذهول الحضور من هول الصدمة.ولكنه لم يكن مشهدًا تمثيليا؛ فالدماء تملأ الرسم والجثمان حقيقي. ومن هنا تحولت عطلة هذه المدينة النائية الهادئة إلى أكثر قضايا «بوارو» المحيرة.

ثمن الكتاب

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الاردن	2 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال



ISBN 9953382530
9 789953 382531

تاليف

Agatha Christie

الإسم الأصلي للرواية

The Hollow

(1946)

الغلاف بريشة الفنان

صلاح عناني

- 1 -

في الساعة السادسة والنصف من صباح أحد أيام الجمعة، فتحت السيدة "**لوسي أنجكاتيل**" عينيها الزرقاوين الواسعتين على يوم جديد وبدأ عقلها النشيط يعمل ليجد حلولاً للمشكلات التي تخلقها هي لنفسها. ولم تلبث أن شعرت بالحاجة إلى من تتحدث إليه وتطلب مشورته. وقع اختيارها على ابنة عمها الشابة "**ميدج هارد كاسل**"، التي حضرت لزيارة قصر "**هولو**" في الليلة الماضية، فنهضت بخفة من فراشها، وغطت منكبيها العاريين بوشاح، ثم اتجهت عبر الدهليز الطويل إلى غرفة "**ميدج**".

وعبرت السيدة الغرفة، وفتحت النافذة؛ لتسمح لخيوط الفجر أن تتدفق إلى الحجرة، ثم تطلعت إلى الخارج وقالت:

- طيور تغرد.. كم هي جميلة! حسنا إن الجو لن يكون هو سبب المشاكل على كل حال، ويبدو انه سيكون رائعًا لحسن الحظ، ولكننا إذا جمعنا أشتاتًا من الشخصيات في داخل القصر، فلا شك في أنك توافقينني على أننا سنواجه مشاكل عويصة.

- عم تتحدثين؟

- عن عطلة آخر الأسبوع يا عزيزتي، وعن الضيوف الذين دعوناهم لزيارتنا غداً. لقد كنت أفكر في هذه المسألة طوال الليل، ومن حسن الحظ أن يجد الإنسان شخصاً يناقش معه مشاكله، فانت يا "**ميدج**" دائمًا سليمة التفكير، تلتمسين الحلول العملية.

فجلست "**ميدج**" في فراشها، وقالت في صرامة:

- هل تعلمين كم الساعة الآن؟

- أبداً يا عزيزتي، إنني لا أهتم بالوقت كما تعلمين!

- إنها السادسة والنصف.

– نعم يا عزيزتي.

وحملقت إليها "**ميدج**" بغيظ. إن تصرفات "**لوسي**" كانت دائماً تبعث فيها الحيرة إلى حد الجنون، ولكنها كانت تحبها على الرغم من كل شيء: إنهما ابتسامتها وسحرها اللذان لم يفارقاها حتى وهي في سن الستين. وبسبب هذه الابتسامة وبسبب هذا السحر تحمل الناس مشاكلها وصبروا على مضايقاتها وما تبعثه فيهم من حيرة. كانت أفعالها مطبوعة بذلك المرح الساذج الذي يعصمها من كل نقد. وفي المواقف الحرجة، لم يكن على "**لوسي**" إلا أن تفتح عينيها الزرقاوين الواسعتين على سعتهما، وتمد يديها الرشيقتين الرقيقتين إلى الأمام في يأس، ثم تقول كم هي آسفة. فينتهي كل شيء.

قالت:

– أوه.. إنني آسفة جداً يا عزيزتي.. كان يجب أن تحذريني!

– لقد فات وقت التحذير، فإنني في تمام اليقظة الآن.

– يا للعار، لقد أيقظتك وأقلقت راحتك.. ولكنك ستساعدينني، أليس كذلك؟

– بخصوص عطلة نهاية الأسبوع؟ ولكن لماذا؟ ما هي المشكلة؟

فجلست السيدة "**أنجكاتيل**" على حافة الفراش، بطريقة لا يمكن أن يحاكيها أحد، لقد كانت خفيفة لطيفة، كحورية رقيقة، ومدت يديها الرقيقتين في حركة يأس لطيفة، وقالت:

– مشاكل، مشاكل، إن جميع الأشخاص غير المناسبين هم الذين سيحضرون إلى هنا. لقد جمعنا شخصيات متنافرة في مكان واحد، ولو أن لكل منهم على انفراد شخصية جذابة ساحرة!

– من الذي سيحضر؟

– الدكتور "**جون**" و"**جيردا**"، وهذا ليس مشكلة في حد ذاته، فـ"**جون**"

لطيف وجذاب جداً، أما "**جيردا**" المسكينة، فإننا يجب أن نعاملها بكل عطف.

– إن حالها ليس بهذا السوء على كل حال.

– أوه، إنها مشكلة يا عزيزتي، إن عينيها تنطقان بذلك، ويبدو أنها لا تفقه أي كلمة تقولينها لها..

– إنها لا تفهم ما تقولينه أنت، ولها العذر، فعقلك يا "**لوسي**" دائماً يسبق لسانك، ومن الصعب على أي إنسان أن يتتبع مناقشاتك.. ومن سيحضر أيضاً؟ أظنك دعوت "**هنريتا**"؟

– نعم، وكان يجب أن أدعوها، فهي قوية الشخصية، رقيقة الحاشية، وأتوقع أن تساعد "**جيردا**" المسكينة كثيراً، لقد كانت رائعة في العام الماضي.

– إنني أعجب لماذا يقبل الناس دعوة آل "**أنجكاتيل**"، إذا نظرنا إلى مقالبك ومتاعبك، وطريقتك في الحديث.

– نعم يا عزيزتي، إنني أعترف بأننا قوم متعبون، ولا شك في أن "**جيردا**" تكرهنا، لو كانت لها شخصية قوية لما قبلت دعوتنا، ولكن حدث في العام الماضي أنها قبلت الدعوة، فكانت مثالاً للحيرة، وكان "**جون**" مثالاً للضيق، ولم أجد وسيلة لتبديد التوتر. وفي اللحظة الحرجة تدخلت "**هنريتا**"، فشعرت بالامتنان لها. لقد أسرعت إلى نجدة "**جيردا**" فظهر على وجهها البشر. وهذا ما يعجبني في شخصية "**هنريتا**"، فهي دائماً مستعدة لمثل هذا العمل فهي ماهرة في كل شيء. وأنا على يقين أنه إذا أنقذنا من ورطة آخر الأسبوع إنسان، فهذا الإنسان هو "**هنريتا**" فهي ستكون رفيقة مع "**جيردا**"، وستكون موضع سرور زوجي "**هنري**"، وستجعل "**جون**" على سجيته، وستساعد "**دافيد**"!

– "**دافيد أنجكاتيل**"؟

– نعم، لقد تخرج حديثاً في "**أكسفورد**" – أو لعلها "**كمبريدج**".

والشباب في مثل سنه يكون صعب المراس. إنهم في مثل هذه السن يقضمون أظافرهم، وتكون وجوههم حافلة بالبقع.. وهم إما لا يتكلمون على الإطلاق، أو يقحمون أنفسهم في المناقشات، ويتحدثون بصوت عال. إنني أعتمد على "**هنريتا**" على كل حال؛ فهي لبقة، تسأل الأسئلة المناسبة. ولا شك في أن كونها فنانة ومثالة بارعة سيجعلها موضع احترام.

– إنها فنانة مطبوعة، وعلى جانب من العبقرية ولكني لا أفهم معنى قلقك بشأن عطلة نهاية الأسبوع. لأنك إذا وفرت وسائل التسلية، وكنت واضحة في حديثك إلى "**جيردا**"، وسلطت "**هنريتا**" على "**دافيد**" المتوحش، فإن كل شيء سيجري على ما يرام.

– حسنا يا عزيزتي، إن "**إدوارد**" أيضًا سيحضر.

– أوه! "**إدوارد**"، ولماذا بحق السماء دعوت "**إدوارد**"؟

– إنني لم أدعه، لقد دعا نفسه بنفسه، وانت تعلمين أن "**إدوارد**" مرهف الحس جداً.

وهزت "**ميدج**" رأسها، نعم، إن "**إدوارد**" مرهف الحس، وتخيلت وجهه البهيج.. إنه وجه محبوب يحمل شيئًا كثيرًا من سحر "**لوسي**".

قالت "**لوسي**":

– وعلى فكرة، لقد دعوت رجل البوليس للغداء يوم الأحد، أليس في هذا بعض التغيير؟

– رجل البوليس؟

– نعم، إن رأسه يشبه البيضة، لقد كان في "**بغداد**" يحل إحدى المشكلات حينما كان زوجي "**هنري**" معتمداً سامياً هناك، أو ربما قبل ذلك، ودعاه "**هنري**" إلى الغداء مع بعض رجال الجيش. كان يرتدي حلة بيضاء، ويضع وردة حمراء في عروة سترته، وينتعل حذاء أسود. إنني لا أذكر المناسبة؛ لأنني لا اهتم

بجرائم القتل، ولقد دعوته؛ لأنه يسكن إحدى الڤيلات الجديدة المجاورة.

– إن أهل "**لندن**" يحبون هذه الڤيلات. وهناك ممثلة في ڤيلا أخرى. إنهم لا يعيشون في هذه الڤيلات كما نفعل نحن، إنهم يقضون فيها إجازاتهم. إنني مسرورة جداً لمعاونتك يا عزيزتي "**ميدج**".

– لا أظن أنني سأكون ذات عون كبير.

– أحقًا؟ والآن استأنفي نومك أيتها العزيزة، وسآمر بإرسال طعام الفطور إلى حجرتك.

ومنحتها "**لوسي**" ابتسامة ساحرة، ثم انفلتت خارجة من الغرفة في خفة مسرعة كأنها الطيف.

- 2 -

جلس الدكتور "**جون كريستو**" في غرفة الفحص يستمع إلى مريضته قبل الأخيرة هذا الصباح، وبعينين رقيقتين – مشجعتين راح يراقبها وهي تصف مرضها، ويهز رأسه دلالة الفهم ما بين فقرة وأخرى من الحديث، وسأل سؤالا أو اثنين، وقدم نصائحه، ولمع بريق الشكر والعرفان في عيني المريضة... إن الدكتور "**كريستو**" رائع حقًا؛ إنه يهتم بشئون مرضاه في إخلاص، وحتى عند تبادل الحديث معه، يشعر المريض بالصحة والعافية.

ومد الدكتور "**كريستو**" يده إلى الورق وشرع يكتب وهو يقول لنفسه:

«من الأفضل أن أصف لها ملينًا، ذلك النوع الأمريكي الجديد، إنه مغلف بالسلوفان، وهو غالي الثمن أيضًا، وليس من السهل العثور عليه في الصيدليات، وستقضي وقتًا طويلاً في العثور عليه، وحين تجده سيغمرها السرور لمدة شهر أو أكثر، إنها في الحقيقة لا تعاني أي مرض إنها ليست مثل السيدة

"**كرابتري**" مثلاً.

إنه صباح ممل، مربح ماليًا لا أكثر ولا أقل، يا إله السماوات، إنه متعب حقًا لقد تعب من النساء الثريات اللاتي يدعين المرض، ومن شكاواهن.. أما مستشفى "**سانت كريستوفر**" ومرضاه، والسيدة "**كرابتري**"، فهذه مسألة أخرى!

إنه يفهمها، وهي تفهمه، إنها سيدة مكافحة، تريد أن تعيش ولو أنه لا يدري لماذا، بالنظر إلى الكوخ الحقير الذي تعيش فيه، وزوجها السكير، وأطفالها الأشقياء، واضطرارها إلى ممارسة العمل الشاق لتتكسب قوتها وقوت أولادها، وتعول زوجها العاطل السكير، إنها حياة خالية من المسرات. ولكن المرأة، على الرغم من كل هذه المتاعب، تريد أن تعيش. إنها لا تهتم بالحياة التي تعيشها، إنها تهتم بالحياة نفسها.. إنه يجب أن يناقش هذه المسألة الغريبة مع "**هنريتا**".

ونهض، ورافق مريضته إلى الباب، وصافحها في حرارة، وكان صوته حارًا مشجعًا مواسيًا. وخرجت مريضته وهي تشعر بأنها استردت الصحة والسعادة.. حقًا إن دكتور "**كريستو**" رجل عجيب!

وحينما أغلق الباب خلفها نسيها كلية، بل إنه كان غافلاً عن وجودها وهي جالسة أمامه في حجرة الفحص، لقد كان تصرفه معها تلقائيًا محضًا. وعاد يقول لنفسه:

"يا إله السماوات، كم أنا متعب!"

لم يبق أمامه الآن إلا مريضة واحدة، ثم.. عطلة نهاية الأسبوع. وطار على أجنحة الخيال إلى هناك: أوراق الشجر الذهبية، وأريج الخريف العاطر، والطريق الذي يخترق الغابة، إن "**لوسي**" مخلوقة رائعة، إنه يفضل ضيافة "**هنريتا**" و"**لوسي**" على أية ضيافة في العالم. وقصر "**هولو**" من أمتع القصور، وفي يوم

الأحد سيتنزه مع "**هنريتا**" في الغابة، ومع "**هنريتا**" سينسى أن في العالم مرضى... وشكرًا لله أن "**هنريتا**" ليست مريضة، وهي لن تشكو إليه مرضًا حتى ولو كانت مريضة.

لم يبق إلا مريضة واحدة، وعليه الآن أن يدق الجرس لتدخل، ومع ذلك فإنه سوف يؤجل دون مبرر، لقد تأخر عن موعده، والغداء معد الآن في غرفة الطعام بمنزله الذي يقع أعلى هذه الغرفة، و"**چيردا**" تنتظره مع الأطفال، ومع ذلك فقد جلس جامدًا... إنه متعب، متعب جدًا!

إنه لم يشعر بهذا التعب إلا أخيرًا، وهو يزداد على مر الأيام... مسكينة "**چيردا**"، إنها دائمًا تتحمله، آه لو لم تكن خاضعة له هكذا، مستعدة دائمًا أن تعترف بأنها مخطئة، بينما هو يعلم عن يقين أنه هو المخطئ، لقد مرت أيام كان فيها كل شيء تقوله "**چيردا**" أو تفعله يضايقه، والواقع أن فضائلها هي التي تضايقه: دأبها ونشاطها، طاعتها العمياء، إنكارها لذاتها، إنها لم تثر في وجهه يومًا، ولم تبد رأيًا مخالفًا لرأيه يومًا، وقال لنفسه: "الواقع أنك تزوجتها لهذا السبب، فلماذا تشكو؟ لقد تزوجتها بعد ذلك الصيف الذي قضيته في "**سان ميجويل**"...".

وأغمض عينيه، فرأى بعين مخيلته زرقة مياه البحر الأبيض المتوسط، ، والنخيل، وأشجار الفواكه، وهواء الصيف المترب الحار، وتذكر رطوبة الماء بعد أن استلقى على رمال الشاطئ... "**سان ميجويل**"!

وفزع.. وضايقته الفكرة. إنه لم يفكر في "**سان ميجويل**" منذ سنين، وهو دون شك لا يريد أن يعود إلى هناك، أو إلى ماضيه البعيد.

كان ذلك منذ خمسة عشر عامًا، لقد تصرف التصرف المعقول، لقد كان حكمه صائبًا، لقد كان مجنونًا بـ"**فيرونيكا**" ولكنه غرام لا طائل وراءه، كانت "**فيرونيكا**" حرية أن تسيطر على روحه وجسده، كانت أنانية من الطراز الأول،

وكانت لا تخفي ذلك، كانت تحصل على كل ما تريد، ولكنه هرب، وقد يبدو بهذا أنه عاملها معاملة سيئة، أو أنه خانها، ولكنه في الحقيقة كان ينشد الاستقلال، وهو الشيء الذي لم تكن "**فيرونيكا**" تسمح له به، كانت تريد أن تعيش على هواها، وتحمله في ركابها.

وقد أدهشها أنه رفض أن يذهب معها إلى "**هوليوود**"، وقالت بازدراء:

– إذا كنت حقيقة تريد أن تكون طبيباً، فلا بأس من أن تحصل على الشهادة هناك، ولكني لا أرى بك حاجة إلى ذلك، فلديك الكفاية التي يمكن أن تعيش عليها، وسأربح، أنا المال الوفير.

فرد عليها بخشونة:

– ولكني أحب مهنتي وسأمارسها.

– فكر في جو "**كاليفورنيا**" البديع، إنه متعة، أكره أن أتمتع به دونك... إنني أريدك يا "**چون**"... إنني محتاجة إليك.

واقترح عليها أن تتخلى عن فكرة "**هوليوود**"، وأن تتزوجه، وتقيم معه في "**لندن**"، ولكنها صممت على الذهاب إلى "**هوليوود**"... وكانت واثقة بجمالها وسطوته ومن أنه لابد أن يرضخ في النهاية.

ولم يجد أمامه إلا مخرجاً واحداً، ولم يتردد، لقد كتب إليها معلناً فسخ الخطبة، ولقد قاسى كثيراً من جراء هذا التصرف، ولكنه لم يكن يشك في أنه التصرف الصحيح، ثم عاد إلى "**لندن**" وتزوج "**چيردا**" – التي تناقض "**فيرونيكا**" تماماً – بعد ذلك بعام.

❀❀❀❀❀

وفتح الباب، وبرزت من ورائه "**بريل كولينز**"، سكرتيرته، وقالت:

– إن عليك أن ترى السيدة "**فورستر**".

– أعلم ذلك.. دعيها تدخل.

– ظننتك نسيت!

وعبرت "**بريل**" الحجرة، وخرجت من الباب الثاني، وكانت عيناه تتبعان خط انسحابها. إنها فتاة عادية، ولكنها ماهرة، إنها تعمل معه منذ ست سنوات، وهي لم تخطئ مرة واحدة، ولم تكن مرة مرتبكة أو قلقة، أو متسرعة، إن لها شعراً أسود وملامح عادية، وذقناً قوياً، وعينين رماديتين فاحصتين، تطلان من وراء نظارة سميكة. وكان يريد سكرتيرة عادية، وقد حصل على سكرتيرة عادية. ولكنها – هكذا ظن "**كريستو**" – ذات طابع حزين.

وقابل السيدة "**فورستر**".

واستغرقت المقابلة نصف ساعة، وحصل على المال بسهولة، كل ما عليه هو أن يصغي، ويسأل بضعة أسئلة، ويوافق على ما يقال، ويعطف، ويضفي على المريض شيئاً من سحره. ومرة أخرى وصف دواء غالي الثمن... وخرجت السيدة المتمارضة في خطوات أكثر ثباتاً، وقد عاد الدم إلى وجنتيها، واعتراها شعور جديد بأن الحياة جديرة بأن تحياها.

واضطجع "**چون كريستو**" في مقعده. إنه حر الآن، حر في أن يصعد إلى الطابق العلوي ليعود إلى زوجته وأطفاله... لقد تحرر من المرضى وذوي الأسقام حتى بداية الأسبوع القادم.

- 3 -

جلست "**چيردا كريستو**" في قاعة الطعام التي هي فوق حجرة الفحص مباشرة، تحملق إلى طبق من اللحم الساخن، كانت قد وضعته على المائدة لغداء زوجها... وكانت تسأل نفسها المرة بعد الأخرى: "هل أرده إلى الفرن ليبقى

ساخنًا؟" ثم لا تلبث أن تجيب عن سؤالها بقولها: "إذا تأخر "**چون**" بعد ذلك، فساعيده؛ لأنه سيبرد، وهو لا يحب اللحم البارد".

ولكن آخر مريضة قد غادرت العيادة، وسيحضر "**چون**" في أي وقت الآن، فإذا هي أعادت اللحم إلى الفرن، فقد يعود "**چون**" ولا يجد الغداء جاهزًا، وسيغضب، فضلاً عن أن إعادة اللحم إلى الفرن ستزيد نضجه، وتجعله جافًا غير مستساغ، و"**چون**" يكره اللحم زائد النضج.. ولكنه أيضًا يكره اللحم البارد.

وهكذا ظل عقلها يسأل ويجيب... وهي في حال من التعاسة والقلق. لقد تحول العالم في نظرها إلى طبق من اللحم الساخن!

وعلى الطرف الآخر من المائدة جلس ابنها "**تيري**" الذي يبلغ الثانية عشرة.

وكانت ابنتها "**زينا**" تقول:

- إنني جائعة... ألا نتناول غداءنا يا أماه؟

- بعد برهة يا عزيزتي.. ينبغي أن ننتظر والدك.

فقال "**تيري**":

- يمكننا أن نبدأ، ولا شك في أن والدي لن يهتم، إنه يتناول طعامه بسرعة.

ولكن "**چيردا**" هزت رأسها نفيًا.. وعادت تحدث نفسها: هل أقطع اللحم؟ ولكنها لا تعرف الطريقة الصحيحة لتقطيعه، و"**چون**" يكره اللحم الذي أسيء تقطيعه... إنها دائمًا لا تجيد تقطيع اللحم... يا إله السماوات، إنه يبرد، لابد من إعادته إلى الفرن، ولكن "**چون**" قد يحضر في أية لحظة.

وعاد عقلها يعمل في يأس من حيث بدأ!

*****

واضطجع "**چون كريستو**" في كرسيه، وجعل ينقر بأصابعه على سطح مكتبه. كان يعلم أن الغداء ينتظره، ومع ذلك فلم يحاول أن ينهض. وإنما جعل

يفكر في "**سان ميجويل**"، ومياه البحر الزرقاء، وعبير الأزهار، والأشجار الخضراء، والشمس الساطعة... والحب وعذابه!

وتمتم يقول: "لا.. لا.. لن يحدث هذا مرة ثانية، لقد انتهى هذا الأمر".

وود لو أنه لم ير "**فيرونيكا**"، ولم يتزوج "**چيردا**"، ولم يقابل "**هنريتا**"... إن السيدة "**كرابتري**" أفضل منهن جميعًا. لقد كانت في حالة سيئة بعد ظهر أحد أيام الأسبوع الماضي، كان هو يراقب رد فعل الدواء الذي يجربه عليها، ثم ظهرت عليها أعراض التسمم... وكانت المرأة العجوز، زرقاء اللون، تتنفس في صعوبة، وهي تنظر إليه في غضب وتقول:

- أنت تجرب أدويتك فيّ، أليس كذلك؟

فابتسم لها وقال:

- إننا نحاول أن نشفيك.

- لا بأس، استمر، فإن على أي واحد أن يكون هو الأول، ويمكنني أن أتحمل.

وسألها وهو يقيس لها النبض:

- ألا تشعرين بالتحسن؟

- إنني في حالة سيئة، ويبدو أن العلاج ليس كما ينبغي، لا بأس، جرب مرة أخرى، فإنني أستطيع أن أتحمل الكثير.

- إنك رائعة، وددت لو كان كل مرضاي مثلك.

بارح المستشفى في ذلك اليوم وهو في غاية التعاسة والشك... كان موقنًا من أنه اتبع العلاج الصحيح فماذا حدث؟ كيف يتغلب على المرض؟ وحين بلغ باب مستشفى "**سانت كريستوفر**"، شعر بالتعب لأول مرة، وفكر في "**هنريتا**": فكر في جمالها، ونضجها، وصحتها، وحيويتها، ورائحة الزهر الذي يفوح به شعرها.

وذهب إلى "**هنريتا**" رأسًا، بعد أن اتصل بمنزله تليفونيًا منتحلاً العذر لتغيبه، واقتحم الاستديو، واحتوى "**هنريتا**" بين ذراعيه بقوة، وشهد في عينيها بريق الدهشة، ولكنها تخلصت من ذراعيه بسرعة، وصنعت له قدحًا من القهوة، وكانت وهي تنتقل في أرجاء الاستديو تلقي عليه بعض الأسئلة، سائلته: "هل جئت من المستشفى رأسًا؟" وكان يكره أن يتحدث عن المستشفى، كان يريد أن يطارح "**هنريتا**" الغرام، وينسى المستشفى، والسيدة "**كرابتري**"؛ ولذلك كان يجيب عن أسئلتها في اقتضاب في أول الأمر، ثم وجد نفسه يستفيض في الإجابة ويشرح أعراض المرض، ووسائل العلاج التي اتبعها، وما وصل إليه من نتائج. ونسي وجود "**هنريتا**"، ولكنه حين كان يتوقف، كان ذكاء "**هنريتا**" وفهمها يحملانه على مواصلة الكلام. وشعر وهو يستمر في الحديث بثقته بنفسه تعود إليه... إن المبادئ التي اتبعها في العلاج صحيحة، ولكن هناك أكثر من طريقة لتطبيقها، وأدرك أنه سيكافح ولن يهزم... وفجأة قال:

– إنك إنسانة لطيفة يا "**هنريتا**"، هل أثار حديثي الطبي اهتمامك؟

– كلا... إنك أنت الذي تثير اهتمامي.

وضحكت... ولم يكن معتادًا أن تضحك منه امرأة. إن "**چيردا**" تأخذ كلامه دائمًا على محمل الجد، و"**فيرونيكا**" لم تفكر في شيء إلا نفسها. ولكن "**هنريتا**" اعتادت أن تطرح رأسها إلى الوراء، وتنظر إليه خلال عينين نصف مغمضتين، وعلى شفتيها نصف ابتسامة ساخرة، كأنما هي تقول لنفسها: "فلألق نظرة فاحصة على هذا المخلوق العجيب المسمى "**چون**"... ولأنظر إليه من مسافة بعيدة"، لقد كانت تنظر إليه بنفس الطريقة التي تنظر بها إلى تمثال تنحته، أو لوحة ترسمها. لقد كانت لها شخصية مستقلة، وهو لا يريد ذلك، إنه يريدها أن تفكر فيه وحده. وقال في نفسه، "ولكنك لا تحب هذا

في "**چيردا**"... الواقع أنك غير معقول، أنت لا تعرف ماذا تريد".

كانت "**چيردا**" كمن وقع في فخ لا خلاص منه، كانت تشعر بالتعاسة واليأس. لقد أحست باليأس منذ استيقظت هذا الصباح، لقد كان قضاء العطلة في قصر "**هولو**" كابوسًا مخيفًا بالنسبة إليها، فقد كانت تشعر هناك بالحيرة والعزلة: حيث "**لوسي أنجكاتيل**" بحديثها الغامض المليء بالتلميحات. إنها تخشى هذه المرأة، ولكن الآخرين أيضًا لا يقلون رداءة عنها، إن عطلة نهاية الأسبوع ما هي إلا فترة أخرى من فترات التضحية، لابد من تحملها في سبيل "**چون**".

لقد كان أول ما قاله "**چون**" هذا الصباح هو:

– جميل أن تذهب إلى الريف في عطلة نهاية الأسبوع، إن جو الريف سيفيدك يا "**چيردا**"؛ إنه الشيء الذي تحتاجين إليه.

وابتسمت "**چيردا**" ابتسامة مغتصبة، وقالت وهي تنكر ذاتها:

– إنها ستكون عطلة رائعة.

وكانت عيناها اللتان تنطقان بالتعاسة تدوران في جوانب حجرة النوم وهي تقول هذا الكلام، كانت تحملق إلى جميع معالم الغرفة الحبيبة التي ستحرم من رؤيتها حتى يوم الاثنين. ففي صباح الغد ستنام في حجرة غريبة، وستوقظها خادمة تقدم لها الشاي، وتغير ملابسها. إنها تكره ذلك..

ولم تكن "**چيردا**" في صباها سعيدة في المدرسة، فقد كانت تشعر بالعزلة، وكانت دائمًا تفضل البيت، ومع ذلك فلم تكن سعيدة حتى في بيتها، ففي البيت كان الجميع يتمتعون بالنشاط والذكاء... ما عداها. وكانوا دائمًا يقرعونها: "أسرعي يا "**چيردا**" .. أوه، لا تدعوها تعمل شيئًا، لأنها لن تنجزه قبل أجيال... أوه، إن "**چيردا**" لا تفهم بسرعة..". ولم يدركوا أن هذه الملاحظات كانت تسبب لها الارتباك والمزيد من البطء، وهكذا كانت هذه

المعاملة سبباً في سوء أحوالها، وزيادة بطئها في الفهم، وارتباكها في الحركة.

وفجأة وجدت سلاحًا تدافع به عن نفسها: لقد زادت بطئًا، وزادت نظراتها المضطربة فراغًا، ووضعت على وجهها قناعًا من الحيرة والدهشة... وكان هذا القناع الحائر مفيداً جداً، فحين كانوا يقولون لها: "أوه يا **"چيردا"**، إنك غبية، لا تفهمين ما يقال لك" كانت تقول لهم في نفسها: "بل انتم الأغبياء، إنني أفهم ما تقولون، وإنما أنا أدعي الغباء". وكثيراً ما كانت تبتسم وهي تبطئ عن عمد في إنجاز عمل حتى تجد من يقوم به عنها.

وانتابها شعور غامض بالسمو وسرها عدم فهم الآخرين لها، ووجدت في ذلك سروراً عظيماً، لقد كان الجميع يخدمونها! ومن ثم يوفر المرء جهده، وفي النهاية يعتاد الناس خدمتها، وينسون أنها لا تجيد عمل الأشياء!

ولكن آل **"أنجكاتيل"** لن يفهموا هذا المنطق، إنها ترهقهم، ولكن **"چون"** يحب هؤلاء الناس، فقد كان يعود من قضاء عطلته لديهم مرتاح الجسم والأعصاب.

وفجأة أغلق باب حجرة الفحص بشدة أزعجت **"چيردا"** وسمعت **"چون"** يصعد الدرج وثبًا واقتحم الغرفة كالعاصفة. وكان يبدو في حالة نفسية طيبة جائعًا، فارغ الصبر، وقال وهو يتأهب لتقطيع اللحم:

– يا إله السماوات... كم أكره المرضى!

– **"چون"**، لا تقل مثل هذا الكلام، فقد يصدقك الطفلان!

– إنني أعني ما أقول، لا ينبغي أن يمرض أحد.

فتحولت **"چيردا"** إلى الطفلين وقالت:

– إن أباكما يمزح... إنه لا يعني ما يقول.

وحملق **"تيري"** إلى أبيه، ثم قال:

– إنه طبعًا لا يعني ما يقول.

وقالت **"چيردا"** وهي تضحك بلطف:

– لو كنت تكره المرضى، لما أصبحت طبيبًا مشهوراً.

– يا إله السماوات، إن هذا اللحم بارد، لماذا لم تضعيه في الفرن ليبقى ساخنًا؟

– الواقع أنني ظننتك قادمًا في التو...

ودق الجرس، وطلب إلى الخادم أن يضع اللحم في الفرن، وقالت **"چيردا"** تعتذر:

– إنني آسفة يا **"چون"**. الواقع أنها غلطتي، فقد كنت أظنك ستصعد توًا لتناول الطعام، وأنني إذا وضعته في الفرن، فقد...

– حسنًا، لا بأس؛ إنه ليس أمراً مهمًا يستحق كل هذه المناقشات... هل السيارة جاهزة؟

– نعم.

– إذن يمكننا أن نرحل بعد الغداء مباشرة.

نعم... إلى الخلاء حيث الهواء المنعش، وأريج أشجار البلوط... إلى حيث يرى **"لوسي"** وزوجها السير **"هنري"** و **"هنريتا"**... إنه لم ير هذه الأخيرة منذ أربعة أيام.

وكان **"البودنج"** محترقًا، ورفع حاجبيه، وقبل أن يحتج، أسرعت **"چيردا"** تعتذر:

– إنني آسفة يا عزيزي، لست أدري لماذا يحدث هذا، إنها غلطتي، تناول أنت الجزء العلوي، ودع الجزء المحترق لي.

وفكر **"چون"**: إن **"البودنج"** احترق لأنه تأخر في حجرة الفحص ليفكر في **"هنريتا"** والسيدة **"كرابتري"**... ومياه **"ميجويل"** الزرقاء، إنه هو المخطئ، إن **"چيردا"** غبية، تحب أن تلقي اللوم على نفسها، لماذا يحملق إليه **"تيري"** كأنما

هو تجربة كيماوية يشرف على عملها، ولماذا تنظر إليه "زينا" هكذا، لماذا يضايقونه جميعهم؟

ونهض "**چون**" وهو يقول:

– حسنًا، لنرحل الآن، هل أنت على استعداد يا "**چيردا**" ؟

– بعد دقيقة واحدة، لدي بعض المهام البسيطة.

– كان يمكن الانتهاء من هذه المهام قبل حضوري، ماذا كنت تفعلين طوال هذا الصباح؟

وأسرعت "**چيردا**" إلى حجرة نومها، وجعلها الإلحاح على السرعة أكثر بطئًا، وانتظر "**چون**" وهو يزفر في عصبية، وتقدمت منه "**زينا**" وهي تحمل مجموعة من أوراق اللعب، وقالت:

– هل تريد أن أقرأ طالعك يا أبي؟

– حسنًا... حسنًا...

إن "**چيردا**" ستستغرق وقتًا طويلاً للاستعداد، فلا بأس من أن يشغله شاغل عن أفكاره. وبدأت "**زينا**" ترتب الورق، ثم قالت:

– هذا الملك يرمز إليك، وهو في الوسط، هكذا علموني... ثم أضع الورق مقلوبًا، ورقتين إلى اليسار منك، وورقتين إلى اليمين، وورقة فوق رأسك، وهي تحوي ما يمكن أن يسيطر عليك، وورقة تحت قدميك، وهي تحوي ما يمكن أن تسيطر أنت عليه... وهذه الورقة الأخيرة تغطيك...

وتنفست "**زينا**" بعمق، ثم استطردت:

– والآن لنقلب الورق. فنجد إلى يمينك الملكة الدينارية... إنها قريبة جدًا منك.

وقال "**چون**" لنفسه: "إنها "**هنريتا**" ". واستطردت "**زينا**":

– والورقة التالية هي الولد السباتي.. إنه شاب هادئ.. وإلى يسارك

الثمانية البستوني، إنها ترمز إلى عدو خفي، هل لك أعداء يا أبي؟

– كلا... لست أظن أن لي أعداء.

– وإلى جوارها الملكة البستوني... وهي ترمز إلى سيدة عجوز.

فقال "**چون**" لنفسه: "هذه السيدة "**أنجكاتيل**" ". وعادت "**زينا**" تقول:

– الآن هذه الورقة ترمز إلى ما يسيطر عليك... إنها الملكة الكوباتي...

فقال لنفسه: "إنها "**فيرونيكا**"... ولكن كم أنا أحمق... إن "**فيرونيكا**" لا تسيطر عليّ الآن". وقالت "**زينا**" تستأنف كلامها:

– وهذه التي تقع تحت قدميك، إنها الملكة السباتي.

ودخلت "**چيردا**" الغرفة بسرعة وقالت:

– هأنذا على استعداد.

فقاطعتها "**زينا**":

– انتظري لحظة يا أماه، إنني أكشف لأبي عن طالعه... والآن هذا الكارت الأخير، إنه أهم الأوراق كلها، إنه يرمز إلى ما سيحدث لك.

وقلبت "**زينا**" الورقة، ثم شهقت:

– ... إنه الآس البستوني... إن معناه الموت، ولكن...

فقاطعها "**چون**" ضاحكًا:

– إن أمك ستقتل أحد الناس وهي تقود السيارة، هلم يا "**چيردا**"، نستودعكما الله، وأرجو أن تسلكا مسلكًا طيبًا في أثناء غيابنا.

- 4 -

نزلت "**ميدج هارد كاسل**" إلى الطابق الأرضي في الحادية عشرة من صباح يوم الأحد. وكانت قد تناولت فطورها وهي في الفراش، ثم قرأت كتابًا، ثم نامت قليلاً. وكانت تشعر بالراحة وبأنها ستستمتع بعطلتها بعيدًا عن محل

الأزياء الذي تعمل به، وغادرت القصر إلى الحديقة الغارقة في شمس الخريف، فوجدت السير "**هنري**" جالساً على أحد المقاعد يقرأ جريدة "**التايمز**"، فنظر إليها وابتسم، لقد كان يحب "**ميدج**"، فحياها قائلاً:

– طاب صباحك يا عزيزتي.

– هل تأخرت؟

– إنك لم تتأخري عن موعد الغداء.

وجلست "**ميدج**" إلى جواره، وقالت وهي تتنهد:

– جميل أن يقضي المرء عطلته هنا.

– إنك تبدين شاحبة.

– أوه، إنني على أحسن حال، إن من متع الدنيا أن يبتعد الإنسان عن النساء البدينات اللائي يحاولن أن يضعن أجسادهن في أردية ضيقة.

– ولا شك في أنه أمر مكروه... إن "**إدوارد**" سيصل في قطار الثانية عشرة والربع.

– إنني لم أره منذ وقت طويل.

– إنه لم يتغير، وهو لا يبارح قصر "**إينزويك**" إلا نادراً.

ففكرت "**ميدج**" بقلب خافق في الأيام التي قضتها في قصر "**إينزويك**"، لقد كانت أياماً طيبة، كانت تظل أياماً طويلة مؤرقة الجفنين تفكر في الأيام التي ستقضيها هناك قبل كل زيارة، فإذا جاء اليوم، وقف "**إكسبريس لندن**" على المحطة الريفية الصغيرة، وهناك تجد السيارة الديملر في انتظارها وتخترق بها الغابات إلى حيث تجد القصر الأبيض الجميل ينتظرها ويرحب بمقدمها. وعلى البوابة يقف العم "**جيوفري**" الذي يستقبلها مع والدتها قائلاً:

– والآن أيها الأطفال، استمتعوا بعطلتكم.

لقد كانت متعة حقًا. "**هنريتا**" التي كانت تحضر من "**أيرلندا**"، و"**إدوارد**"

الذي يحضر من جامعة "**إيتون**"، وهي التي كانت تحضر من الشمال. كانوا يلتفون حول "**إدوارد**"... وكان "**إدوارد**" يأسرهم بعطفه ولطفه وكرم أخلاقه. ولكنه لم يكن أبداً يهتم بها، فقد كانت "**هنريتا**" هي محور اهتمامه.

وذات يوم قال لها البستاني:

– إن هذا القصر سيئول إلى السيد "**إدوارد**" في يوم ما.

– ولكن لماذا؟ إنه ليس ابن العم "**جيوفري**".

– إنه الوارث الشرعي، أما "**لوسي**"، ابنته فإنها لن ترث اللقب ولا القصر لأنها أنثى.

إن "**إدوارد**" يعيش الآن في قصر "**إينزويك**"، يعيش هناك وحده.

وعجبت "**ميدج**". ترى هل تشعر "**لوسي**" بالحنين إلى قصر "**إينزويك**"؟ لقد كانت تعتبره بيتها، وأن "**إدوارد**" ليس سوى ابن عم يصغرها بعشرين عاماً. وكان والدها "**جيوفري أنجكاتيل**" شخصية مرموقة في طول البلاد وعرضها، وكان ثرياً. ولقد أورثها معظم ثروته، حتى لقد كان "**إدوارد**" فقيراً إذا قيس بها، ولكنه كان يملك ما يمكنه من الاحتفاظ بالقصر والعيش في بحبوحة. ولم تكن لدى "**إدوارد**" أوجه للإنفاق. لقد قضى بعض الوقت يعمل في السلك الدبلوماسي، ولكنه حين ورث قصر "**إينزويك**" والضياع الملحقة به، اعتزل العمل، وعاش في ضيعته. وكان يحب الاطلاع على الكتب، واقتناء الطبعات الأولى منها، وقليلاً ما كان يكتب بعض القطع الأدبية لبعض الصحف... ولقد طلب إلى ابنة عمه "**هنريتا**" ثلاث مرات أن تقبله زوجاً.

واستغرقت "**ميدج**" في التفكير، ولم تكن تدري: هل سيسرها حقًا أن ترى "**إدوارد**"؟ لقد كانت مغرمة به منذ أيام الصبا.

*****

أخرجت "هنريتا" سيارتها من الجراج. وانطلقت بها وهي تشعر بالسعادة لأنها تقود السيارة وحدها، لقد كانت تفضل الوحدة؛ حتى تتاح لها الفرص للتمتع بالقيادة. كانت تحب أن تبدي مهارتها في تفادي عقبات المرور، وتكتشف طرقًا جديدة للخروج من مدينة "لندن".

وحين وصلت إلى قصر "هولو". وجدت "ميدج" جالسة في الشرفة تلوح لها في ابتهاج، وسرها أن ترى "ميدج"؛ فقد كانت تميل إليها. وخرجت السيدة "أنجكاتيل" ترحب بها قائلة:

– آه، هانت قد حضرت يا "هنريتا"، وحين تفرغين من إيداع سيارتك في الحظيرة، ستجدين الغداء جاهزًا.

وقادت "هنريتا" سيارتها إلى الجراج، ولحقت بها "ميدج" فسألتها:

– من هم المدعوون يا "ميدج"؟

– آل "كريستو"، وقد حضر "إدوارد" الآن.

– "إدوارد"؟ جميل، إنني لم أره منذ مدة طويلة.

– وهناك أيضًا "دافيد أنجكاتيل"... وهذا الزائر من اختصاصك، كما تقول "لوسي"، فعليك ألا تدعيه يقضم أظافره.

– إن هذا يخالف طبيعتي، فأنا لا أحب أن أتدخل في شئون الغير، وماذا قالت لك "لوسي" أيضًا؟

– قالت: إن عليك أن تكوني رقيقة مع "چيردا".

– لو كنت من "چيردا" لكرهت "لوسي".

– وقد دعت أحد الرجال الذين يشتغلون بالمسائل البوليسية لتناول طعام الغداء غدًا.

– هل ستقوم بلعبة الجريمة؟

– كلا... أظن أن المسألة ليست سوى دعوة لجار... ها هو "إدوارد" قد

أقبل.

كان "إدوارد" فارع الطول نحيلاً، وكان يبتسم وهو يقترب من المرأتين.. هتف:

– مرحبا "هنريتا"، إنني لم أرك منذ أكثر من عام.

– مرحبا "إدوارد".

وفكرت "هنريتا" وقد اهتاجت عواطفها: إن "إدوارد" كان دائمًا حبيبًا إلى قلبها، وهو دائمًا لطيف، وهي تحب تلك الابتسامة التي تداعب شفتيه، وهذه الخطوط التي تظهر وتختفي حول عينيه، وعظامه الرقيقة... وأزعجتها هذه العواطف، فقد أوشكت أن تنسى أنها كانت تحب "إدوارد" كل هذا الحب!

وبعد الغداء صحبها "إدوارد" في نزهة خلال الغابة. وسارا جنبًا إلى جنب إلى الجهة الخلفية من القصر، وفكرت "هنريتا" في غابات "إينزويك"، "إينزويك" الحبيب وأيام اللهو البريء. وبدأت تحدث "إدوارد" عن تلك الأيام:

– هل تذكر السنجاب الذي كنا نربيه؟

– نعم.. لقد أطلقنا عليه اسمًا معقدًا.

– وهل تذكر السيدة "بوتدي" المربية العجوز؟ لقد كانت تقول إنه سيهرب من خلال المدخنة في يوم من الأيام.

– وكان هذا القول يغضبنا كثيرًا.

– نعم.. ولا شك في أنها وضعت هذه الفكرة في رأس السنجاب؛ لأنه هرب عن ذلك الطريق!

وصمتت برهة ثم استطردت:

– هل لا تزال الأحوال كما هي هناك، أم تغيرت؟

– ولماذا لا تأتين لتشاهدي الأمور بنفسك، فقد مضى وقت طويل بعد آخر زيارة، فإنني أرحب بزيارتك في أي وقت، وأنت تعلمين، ويسرني أنك لا تزالين

تحبين المكان.

– إن "**إيتزويك**" أجمل مكان في العالم.

لقد كانت وقتذاك طفلة غريرة، لا تعلم شيئًا عن هموم الدنيا، كانت سعيدة بالدنيا من حولها... ولقد كانت أيضًا تحب الأشجار... وفجأة سألته:

– هل شجرة "**السرو**" لا تزال هناك؟

– كلا... لقد انقضت عليها صاعقة!

وأحزنها النبأ.. حقًا لا شيء يمكن أن يسلم من أحداث الزمان... من الأفضل إذن ألا تعود إلى هناك، وسألها "**إدوارد**":

– هل لا تزالين تذكرين تلك الشجرة؟

– نعم... ومازلت أرسمها على كل سطح يقع تحت يدي إذا كنت غارقة في التفكير.

وجلست "**هنريتا**" على جذع شجرة، وجلس "**إدوارد**" إلى جوارها، ونظرت حولها ثم قالت:

– هذا المكان يشبه "**إيتزويك**"، إن "**إيتزويك**" صغيرة، هل تظن أن هذا هو سر مجيء "**لوسي**" والسير "**هنري**" إلى هنا؟

– ربما...!

– إن الإنسان لا يمكن أن يعرف ما يدور في رأس "**لوسي**" وماذا تفعل أنت هناك؟

– لا شيء...!

– إن معنى هذا هو الهدوء والسكينة، ربما كنت على حق في ذلك.

– حسنًا، وأنت كنت دائمًا ناجحة.

– هل تسمي هذا نجاحًا؟

– إنك فنانة، ولا شك في أنك فخورة بعملك، أما أنا فإنني لا أجيد

شيئًا.

– إنهم يقولون لي مثل ما تقول، ولكنك لا تعلم أن النحت يستعبدك، ويسيطر عليك، ولست أنت الذي تسيطر عليه. فإذا خضعت فقد حصلت على الراحة حتى يعود إلى الاستبداد بك من جديد.

– هل تنشدين السلام يا "**هنريتا**"؟

– نعم... وكثيرًا ما أتوق إلى الهدوء.

– يمكنك الحصول عليه في "**إيتزويك**"، وستكونين سعيدة هناك، حتى ولو اضطررت إلى الزواج مني، فهل تقبلين؟

فأشاحت "**هنريتا**" بوجهها في بطء، ثم قالت:

– وددت لو لم أكن أحبك يا "**إدوارد**" إلى هذا الحد، إذن لكان الرفض أقل إيلامًا.

– هو الرفض إذن؟

– إنني آسفة!

– ولكنك كنت سعيدة حين تحدثت عن "**إيتزويك**".

– لقد كنا نعيش في الماضي يا "**إدوارد**"، والإنسان لا يمكن أن يعود إلى العيش في الماضي.

– هل تعنين أنك لا يمكن أن تتزوجيني، بسبب "**چون كريستو**".

– إنني لا يمكن أن أتخيل الحياة بدون "**چون كريستو**".

– هناك الكثيرون من أمثال "**چون كريستو**".

– أنت مخطئ، ليس هناك إلا "**چون كريستو**" واحد!

*****

اقتربت سيارة الدكتور "**چون كريستو**" وزوجته من قصر "**هولو**" ومرت في

طريقها بين صفين من الأشجار التي احمرت أوراقها بفعل الخريف فقال "**جون**":

- جميل أن يتخلص الإنسان من جو "**لندن**"... تذكري الأمسيات التي نقضيها كل يوم في حجرة الجلوس المظلمة نتناول الشاي.

ولكن هذا المنظر الحبيب بدا لعيني "**چيردا**" كأنه السراب... آه لو كانت جالسة هناك الآن! ومع ذلك فقد قالت:

- إن الريف بديع.

- وبدأت السيارة تهبط الطريق المنحدر إلى هدفها، وحين اجتازت أبواب القصر وقع بصر "**چيردا**" على "**هنريتا**" وهي تجلس في الشرفة مع "**ميدج**"، وهو رجل طويل نحيل. وسرها أن تجد "**هنريتا**"، فهي تثق بها، وبمقدرتها على إنقاذها حين تتأزم الأمور.

وشعر "**جون**" بالسرور لمرأى "**هنريتا**"، كان مرآها خير ختام لهذه الرحلة. وكانت "**هنريتا**" ترتدي الثوب الأخضر الذي يحبه، لقد كان يناسبها أكثر من أي ثوب آخر، وتبادلا ابتسامة سريعة، كاعتراف متبادل بأن كلاً منهما يسره أن يجد الآخر. ولم يكن "**جون**" راغبًا في الحديث إلى "**هنريتا**" الآن، وإنما كان يريد أن يفسح المجال لشعوره بالسرور بلقياها، فقد كان يعلم أن قضاء عطلة آخر الأسبوع بدونها أمر بغيض.

وخرجت السيدة "**أنجكاتيل**" لتحييهما، ودفعتها غريزتها إلى الإغراق في الترحيب بـ"**چيردا**" دون غيرها، قالت:

- جميل أن نراك يا "**چيردا**"، فقد افتقدناك منذ وقت طويل... وأنت يا "**جون**"!

ومع ذلك فلم تنجح المناورة، بل شعرت "**چيردا**" بأنها ستكون محور اهتمامهم جميعا، وما ينطوي على هذا من متاعب. واستطردت "**لوسي**" تحدث "**جون**":

- أقدم إليك "**إدوارد**"... "**إدوارد أنجكاتيل**".

وحياه "**جون**" بإيماءة... وكذلك فعلت "**چيردا**".

وانعكست شمس الخريف على شعر "**جون**" الأشقر وعينيه الزرقاوين. وبدا كفارس خرج لتوه مظفراً من معركة. كان صوته دافئًا يطرب الأذن، وسيطرت جاذبيته وشخصيته القوية على الجميع. ولم يؤثر ذلك في "**لوسي**"، وإنما أثر في "**إدوارد**"، الذي بدا قزمًا بالقياس إلى الطبيب. واقترحت "**هنريتا**" أن تصحب "**چيردا**" إلى الحديقة وهي تقول لـ"**لوسي**":

- لا شك في أن "**چيردا**" سيسرها أن ترى الحديقة في وقت الخريف.

وانطلقت "**چيردا**" في صحبة "**هنريتا**"، وقد سرها أن تخلصت من السيدة "**أنجكاتيل**". وأقبلت على الحديث مع "**هنريتا**". إن "**هنريتا**" تعرف كيف تتبادل الحديث مع "**چيردا**". وبعد برهة شعرت "**چيردا**" بالسرور يغمر كيانها، وفكرت أنه ربما تكون عطلة آخر الأسبوع أقل سوءاً مما توقعت. وكان من السهل على "**هنريتا**" أن تجعل "**چيردا**" سعيدة. وخيم الصمت برهة، فعادت "**چيردا**" إلى سيرتها الأولى، وعادت التعاسة إلى جميع مشاعرها، وفزعت على صوت "**هنريتا**" وهي تقول:

- إذا كنت تكرهين هذا المكان فلماذا حضرت؟

- إنني... إنني لا أكرهه، لست أدري لماذا تعتقدين هذا. الواقع أنها متعة أن يغادر الإنسان "**لندن**"، فضلا عن أن السيدة "**أنجكاتيل**" شخصية عطوفة.

- "**لوسي**"؟ إنها ليست كذلك على الإطلاق!

- ولكنها حقيقة طيبة القلب، لقد كانت هكذا دائمًا معي.

- إنها رقيقة، ولكنها تعرف كيف تكون قاسية. وما دمت تكرهين البقاء هنا يا "**چيردا**" فلماذا حضرت؟

– إن "**جون**" يحب هذا المكان.

– حسنًا، يمكنك أن تدعيه يأتي وحده.

– إنه لا يريد ذلك، فهو يحب أن أرافقه. إنه ليس أنانيًا، وهو يعتقد أن جو الريف يفيدني كثيرًا.

– حقيقة إن جو الريف جميل، ولكن جو آل "**أنجكاتيل**" ليس جميلاً.

– أرجو ألا تظهريني بمظهر الناكر للجميل.

– إنني شخصيًا أعتقد أن آل "**أنجكاتيل**" قوم ثقلاء!

وبعد برهة قالت:

– لقد حان موعد تناول الشاي، هيا نعود.

وحين نهضنا للعودة إلى القصر، كانت "**هنريتا**" تختلس النظر إلى وجه "**جيردا**"، وتقول لنفسها: "إنه وجه شهيدة دفعوا بها إلى عرين الأسد". وحين برحنا الحديقة، سمعنا أصوات طلقات نارية، فقالت "**هنريتا**":

– يبدو أن آل "**أنجكاتيل**" قد بدأوا المعركة!

وظهر أن الطلقات كانت من مسدسات "**إدوارد**" والسير "**هنري**" اللذين كانا يتناقشان عن الأسلحة النارية، ويطلقان الرصاص من وقت لآخر مصداقًا لكلامهما. لقد كانت هواية السير "**هنري أنجكاتيل**" هي الرماية، وكان يحتفظ بمجموعة فريدة من الأسلحة. وكان قد أحضر بعض المسدسات وبطاقات الرماية، وكان هو و"**إدوارد**" يطلقان الرصاص على هذه البطاقات. وقال "**إدوارد**" لـ"**هنريتا**":

– هل تريدين أن تجربي براعتك في إصابة لص؟

وأخذت "**هنريتا**" المسدس وصوبته، ثم أطلقت النار، ولكنها أخطأت الهدف، وعرض "**هنري**" على "**جيردا**" أن تصيب الهدف، فقالت:

– إنني لا أعرف...

– إن الأمر بسيط، دعيني أشرح لك.

وأغمضت "**جيردا**" إحدى عينيها، وأطلقت الرصاص، فأخطأت الهدف، وتقدمت "**ميدج**" وهي تقول:

– دعوني أنا أجرب... آه، إنه أمر أصعب مما كنت أظن.

وخرجت إليهم "**لوسي**" وهي في صحبة شاب نحيف مقطب الوجه، قدمته إليهم قائلة:

– هذا "**دافيد**".

وأخذت المسدس من يد "**ميدج**"، وحشته بالرصاص، ودون كلمة واحدة أصابت الهدف ثلاث مرات، فقالت "**ميدج**" في عجب:

– حسنًا "**لوسي**"، لم أكن أعلم أنك أيضًا ماهرة في الرماية!

فقال السير "**هنري**":

– إنها ماهرة بلا شك... وهي مهارة مفيدة. هل تذكرين يا عزيزتي الرجلين اللذين هاجماني على شاطئ "**البسفور**"؟ لقد كان أحدهما فوقي والآخر يوشك أن يخنقني.

فسألته "**ميدج**":

– وماذا فعلت "**لوسي**"؟

– لقد أصابت أحد الرجلين في ساقه، والثاني في كتفه... ونجوت أنا بأعجوبة من رصاص "**لوسي**".

فابتسمت "**لوسي**" وقالت:

– على الإنسان أن يغامر أحيانًا، وأن يغامر بسرعة، دون أن يدع تفكيره يعوقه عن التصرف السريع.

– كلام معقول يا عزيزتي... خصوصًا إذا كنت أنا محور المغامرة!

*****

- 5 -

وبعد تناول الشاي، رافق "**چون**" "**هنريتا**" في نزهة خلال الحديقة. وفكرت "**هنريتا**": إن النزهة مع "**چون**" شيء مختلف تماماً عن النزهة مع "**إدوارد**". فمع "**إدوارد**" تقتصر النزهة على التسكع، أما "**چون**" فإنها لا تكاد تلحق به، وما كادا يصلان إلى الربوة، حتى قالت "**هنريتا**" وهي تلهث:

– إننا لسنا في سباق يا "**چون**".

فأبطأ قليلاً، ثم قال:

– الواقع أنني مرهق... مرهق جداً.

– كيف حال السيدة "**كرابتري**"؟

– إنها في حال أفضل.

وبدأت خطاه تسرع، واستطرد:

– إن أمامنا آفاقاً جديدة للعلاج... جميل أن يحضر المرء إلى هذا المكان، ليملأ رئتيه بالهواء النقي، وجميل أن أراك.. وهذا الجو سيفيد "**چيردا**".

– وهل تحب "**چيردا**" أن تحضر إلى هذا المكان؟

– طبعاً... وعلى فكرة، هل سبق لي أن قابلت "**إدوارد**" من قبل؟

– لقد سبق أنك قابلته مرتين.

– إنني لا أتذكر، فـ"**إدوارد**" من الأشخاص ذوي الشخصية الباهتة.

– إن "**إدوارد**" لطيف... وأنا أميل إليه كثيراً.

– حسناً، لن نضيع الوقت في المناقشة حول "**إدوارد**"... فأنا لا أهتم بأحد غيرك! إنك تخيفني أحياناً يا "**چون**".

– ماذا تعنين؟

– إنك تبدو أحياناً متجاهلاً لعواطف الغير ومشاعرهم.

– يا عزيزتي "**هنريتا**"... ما معنى هذا؟

– إنه اتجاه خطر، فإنك تسلم بأن كل امرئ يحبك، هناك "**لوسي**" مثلا...

– ألا تحبني "**لوسي**"؟ لقد كنت دائماً أميل إليها.

– ولأنك تميل إليها، فأنت تسلم بأنها أيضا تميل إليك... وكذلك الحال مع الباقين... كيف تعرف شعورهم نحوك؟

– و"**هنريتا**".. هل أعرف شعورها.. إنني على الأقل واثق بك.

– لا يمكنك أن تثق بأي إنسان يا "**چون**".

قطب حاجبيه وقال:

– لا.. إنني على الأقل واثق بك، وواثق بنفسي.

وعلى مائدة العشاء، وجدت "**هنريتا**" نفسها جالسة إلى جوار "**داڤيد**"، والتقت عيناها على المائدة بعيني "**لوسي**"... وكان في عيني الأخيرة رجاء. وكان السير "**هنري**" جالساً إلى جوار "**چيردا**"، ويبدو أنه نجح في فك عقال لسانها، أما "**چون**" فكان يتابع حديث "**لوسي**" ذا القفشات والغمزات في سرور، وأما "**ميدج**" فإنها راحت تتبادل الحديث مع "**إدوارد**" الذي بدا مشغول الذهن لاهياً عنها.

وكان "**داڤيد**" يبدو غير راض، وكان يعبر عن عدم رضاه بتفتيت الخبز الموضوع أمامه. إنه لا يحب هؤلاء الناس الكسالى... إن مكانه بين الكادحين، أما هؤلاء الأرستقراطيون المتعجرفون فإنه يحتقرهم، فضلا عن أنهم أقارب، والأقارب دائماً كالعقارب!

وحاولت "**هنريتا**" أن تبادله الحديث، ولكن ردوده كانت قصيرة، فلجأت إلى طريقة جديدة طالما حلت عقدة الألسنة، فأبدت رأياً خاطئاً عن موسيقي كانت تعرف أن "**داڤيد**" يفضله. وسرها أن حيلتها نجحت، فقد بدأ يبادلها حديثاً قاسياً ويبرهن على جهلها بصوت مرتفع. ومنذ تلك اللحظة حتى نهاية العشاء، جعل يلقي عليها محاضرة طويلة عن فضائل الموسيقي الأثيرة لديه،

وتحولت "**هنريتا**" إلى مستمع طيب.

وبعد انتهاء العشاء، ابتسمت لها "**لوسي**" معترفة بجميلها، ثم تأبطت ذراعها إلى قاعة الجلوس، وهي تقول:

– ما رأيك في قضاء السهرة في لعب (البريدج)؟ إن "**دافيد**" سيشعر نحونا جميعاً بالاحتقار، وسيسره هذا الشعور.

ومُدت مائدتان، وجلست "**هنريتا**" إلى جانب "**چيردا**"، في مواجهة "**چون**" و"**إدوارد**"، ولم تكن هذه فكرتها، ولكنها رضيت بإبعاد "**چيردا**" عن "**لوسي**" و"**چون**". لكن "**چون**" كان مصمماً على الفوز، وكان "**إدوارد**" متفوقًا على "**چيردا**"، ومضى الوقت، وأخيرا ربحت "**هنريتا**" و"**چيردا**".

ونهضت "**هنريتا**" واتجهت إلى المدفأة، ولحق بها "**چون**" وقال لها:

– لم تكوني دائمًا حريصة على الربح؟

– هل كنت كذلك؟

– أعني أنك كنت حريصة على أن تربح "**چيردا**"، وأنت في محاولتك لإسعاد الآخرين لا تتورعين حتى عن الغش في اللعب.

– هذا تعبير صحيح مع الأسف.

–وكانت رغباتك تلقى ترحيباً من رفيقي في اللعب.

إذن فقد لاحظ أن "**إدوارد**" كان يعاونها على إسعاد "**چيردا**" ورفع روحها المعنوية!

*****

وفجأة، وبطريقة مسرحية دخلت "**فيرونيكا**" الغرفة من باب الشرفة، ووقفت تبتسم ابتسامة ساحرة... وأخيراً قالت:

– أرجو المعذرة لتطفلي عليكم بهذه الصورة. إنني جارتك يا سيدة

"**أنجكاتيل**"، فأنا أقيم في ڤيللا "**دوفكوت**"، وتواجهني مشكلة محيرة.

وازدادت ابتسامتها اتساعًا، ثم استطردت:

– إنني لم أجد عود كبريت واحدا في المنزل، وهذا مساء الأحد. لقد كنت غبية حين نسيت أن أحضر معي كبريتاً... وهكذا اضطررت إلى ان أحضر إلى هنا، لعلي أجد لديكم علبة كبريت.

وخيم الصمت على الجميع، كان هذا من تأثير "**فيرونيكا**"... لقد كانت "**فيرونيكا**" جميلة إلى الدرجة التي تسحر كل من يراها بشعرها البلاتيني المتموج، وابتسامتها العذبة، وفرائها الثمين الذي يغطي كتفيها... وكانت تنظر إلى كل فرد على حدة، كأنما هي تخصه بطلبها المتواضع، وابتسامتها الساحرة... وعادت تقول:

– وأنا أيضًا أدخن... بشراهة، وقداحتي لا تعمل، هذا فضلاً عن إعداد الإفطار وإيقاد الموقد... إنني غبية حقًّا!

وتقدمت "**لوسي**"، وقالت في سرور:

– طبعًا يا عزيزتي...

ولكن "**فيرونيكا**" كانت تنظر في تلك اللحظة إلى "**چون كريستو**" في دهشة ممزوجة بالسرور، وتقدمت منه باسطة ذراعيها، وقاطعت السيدة "**أنجكاتيل**" قائلة:

– يا إله السماوات. إنه "**چون**" بالتأكيد.. إنه "**كريستو**". أليس هذا مدهشاً، إنني لم أرك منذ سنوات، وفجأة أجدك هنا!

وكانت قد أمسكت بيديه واستدارت إلى السيدة "**أنجكاتيل**" لتقول لها:

– إنها مفاجأة طيبة، فـ"**چون**" صديق قديم لي... إنه أول رجل خفق قلبي له وأحببته... لقد كنت مجنونة بك يا "**چون**".

وتقدم منها السير "**هنري**" في كياسة وكرم، وعرض عليها كأساً، ودقت

"**لوسي**" الجرس، فدخل "**جدجيون**" – رئيس الخدم – فقالت له:

– نريد علبة كبريت على الأقل، هل لدى الطباخة شيء من الكبريت؟

– لقد أحضرت دستة من علب الكبريت هذا الصباح يا سيدتي.

– إذن أحضر لنا نصف دستة!

فاسرعت "**فيرونيكا**" تقول وهي تبتسم:

– أوه... علبة واحدة فيها الكفاية.

وقال "**چون كريستو**"، وهو يقدم لها "**چيردا**":

– هذه زوجتي.

– إنني سعيدة حقًا بأن أراها.

وأحضر "**جدجيون**" الكبريت على طبق فضي، فأشارت السيدة "**أنجكاتيل**" نحو "**فيرونيكا كراي**"، فتقدم بالطبق إليها، فقالت:

– يا لله... كل هذا؟

– خذيها كلها، فمن المتعب أن يكون لدى الإنسان شيء واحد.. ووضعت كاسها، ولفت الفراء حول جيدها بعناية، وابتسمت لهم جميعًا وهي تقول:

– شكرًا لكم جميعًا، لقد كنتم كرماء... هل ترافقني في طريق العودة يا "**چون**"؟ إنني جد مشتاقة إلى معرفة أحوالك كل هذه المدة الطويلة.

وسارت إلى باب الشرفة، يتبعها "**چون كريستو**"، وقبل أن تختفي ابتسمت لهم جميعًا... وعلق "**هنري**" على الجو بأنه حار، فاقترحت السيدة "**أنجكاتيل**" أن يأوي الجميع إلى فراشهم قائلة:

– ويجب أن تذهب لمشاهدة أفلامها... فمن مسرحية الليلة يجب أن يقر الإنسان بأنها ممثلة بارعة.

وسألتها "**ميدج**" وهي تودعها:

– ما معنى قولك: مسرحية؟

– تعنين أنه كان لديها كبريت؟

– أعتقد أن لديها مئات العلب يا عزيزتي... ولكنها كانت مسرحية متقنة على كل حال!

وهدأت الأصوات في قصر "**هولو**"، وأغلقت أبواب حجرات النوم الواقعة على جانبي الدهليز الطويل.

وأسرعت "**فيرونيكا كراي**" في طريق العودة، حتى إذا اجتازت الغابة، وصلت إلى ساحة واسعة فيها حمام للسباحة، وإلى جواره مقصورة زجاجية. وتوقفت "**فيرونيكا**" لتواجه "**چون**" ثم أشارت إلى حمام السباحة: الذي انتشرت فوق سطحه أوراق الشجر الجافة وقالت ضاحكة:

– إنه لا يشبه البحر الأبيض، أليس كذلك؟

وأدرك "**چون**" في تلك اللحظة أنه في خلال السنين الخمس عشرة التي عاشها بعيدًا عن "**فيرونيكا**" كانت هي لا تزال معه... وأن المياه الزرقاء والهواء الساخن والرمال... كل هذا كان بعيدا عن ناظره ولكنه لم يكن منسيًا! إن كل هذا معناه شيء واحد هو: "**فيرونيكا**" وأحس مرة أخرى أنه شاب في الرابعة والعشرين من عمره، غارق في الحب إلى أذنيه.. ولكنه لن يهرب من الميدان هذه المرة!!

✽✽✽✽✽

حين عاد "**چون كريستو**" إلى قصر "**هولو**" كانت الحديقة والقصر غارقين في ضوء القمر... وكانت نوافذ القصر تبدو بريئة وهي مغلقة، ونظر إلى ساعته، حيث كانت تشير إلى الثامنة صباحًا، وتنهد في قلق.. إنه لم يعد ابن الرابعة والعشرين. إنه اليوم رجل مجرب يبلغ الأربعين ذو عقل راجح وتفكير عملي.. لقد كان أحمق ولكنه ليس نادما على ما حدث، فلقد أصبح أخيرا سيد نفسه. كان كمن يحمل عبئًا ثقيلاً على كتفيه، أما الآن فقد تحرر..

إنه الآن الدكتور "**چون كريستو**" طبيب شارع "**هارلي**" المشهور، و"**فيرونيكا كراي**" لا تعنيه في شيء. وكل ذكريات الماضي وعذابه كانت بسبب فراره من الموقف كله، ومن ثم بقي شبح "**فيرونيكا**" يقض مضجعه. وها هي قد شقت حجب الماضي وعادت إليه، ولقد رحب بمقدمها، وواجهها، وتخلص منها ومن شبحها!

لقد قضى ثلاث ساعات مع "**فيرونيكا**"... لقد اقتحمت عليه سهرته، وأخذته من بين أصدقائه، ومضت به... ترى ماذا ظن الجميع؟ ماذا ظنت "**چيردا**" مثلاً و"**هنريتا**"؟ ولكنه لا يهتم كثيراً بـ"**هنريتا**"، إنه يمكن أن يشرح لها الأمور، ولكنه لن يتمكن من شرحها لـ"**چيردا**". وهو لا يريد أن يفقد أحداً...

إنه يخشى أن يحدث ما يكدر استقراره العائلي، لقد كان مجنونًا حين وافق على مرافقة "**فيرونيكا**" إلى بيتها ولكن لحسن الحظ لن يصدق أحد أو يعرف ما حدث. إن كل امرئ قد أوى إلى فراشه الآن. وها هو ذا باب الشرفة قد ترك مفتوحًا له.

ألقى نظرة ثانية على نوافذ القصر النائم...

وفجأة سمع صوت باب يغلق. وفزع.. لو أن أحداً تبعه إلى حمام السباحة، لوصل قبله بدقائق.. ونظر إلى النوافذ مرة ثالثة... هل يراقبه أحد؟ هل هي "**هنريتا**"؟ إنه يجب ألا يفقد "**هنريتا**"... سيقول لها إن الماضي قد مضى وانقضى، وإنه سيبدأ من جديد... لقد كان في الماضي يهرب من نفسه؛ لأنه لم يكن يعرف هل هرب من "**فيرونيكا**" عن ضعف أو عن قوة، ومن ثم أورثه هذا شعوراً بالخوف من نفسه ومن الحياة ومنها! آه لو أيقظها، وسار معها إلى حافة الغابة، وجلسا يرقبان بزوغ الشمس... إذن لأمكنه أن يشرح لها...

وقال لنفسه: أنت مجنون... ما هذه الأفكار، ألا يكفي أنك ارتكبت عملا جنونيًا واحداً الليلة... إن أنت تخلصت من عواقب جنونك هذه الليلة، فأنت رجل محظوظ، وماذا تظن به "**چيردا**" إذا هي رأته يعود إلي القصر مع الصباح؟ وماذا يظن آل "**أنجكاتيل**"؟ ولكنه في الواقع لم يكن يهتم بآل "**أنجكاتيل**"... ولكن "**چيردا**" إن عليه أن يعالج "**چيردا**" الآن، وفي الحال... ولكن إذا كانت هي التي تبعته، فماذا يقول لها؟ ولكن نبل "**چيردا**" لا يسمح لها بالتجسس على الناس... هراء... لقد رأى بنفسه أنبل الناس يتسمع على الناس ويتجسس عليهم... هل تعلم "**چيردا**"؟ لا.. لا يمكن أن تكون قد علمت.. إنها الآن نائمة.

واجتاز باب الشرفة، ثم أغلقه خلفه، وتلمس طريقه إلى الطابق العلوي، ثم وقف برهة أمام غرفة نومه، ثم فتح الباب ودخل...

كانت الغرفة مظلمة، وكان بوسعه أن يسمع تنفس "**چيردا**" الرتيب، وتحركت قليلاً حين نام إلي جوارها، وقالت بصوت يغلبه النعاس:

– أهذا أنت يا "**چون**"؟

– نعم...

– ألا ترى أنك تأخرت. كم الساعة الآن؟

– لست أدري، آسف لأنني أيقظتك.

– حسنًا، طابت ليلتك.

ها قد انتهى الأمر على ما يرام، لحسن الحظ، لقد كان محظوظاً دائماً...

وتذكر قول "**زينا**": "وهذه فوق رأسك.. إنها تسيطر عليك" لقد كانت "**فيرونيكا**".

أما الآن: "فليس لأحد سيطرة عليّ يا بنيتي. لقد انتهى كل شيء.. وتحررت!"

- 6 -

كانت الساعة قد قاربت العاشرة حين هبط "جون" إلى الطابق الأرضي في صباح اليوم التالي، فوجد فطوره معداً على إحدى الموائد، وكانت "چيردا" قد تناولت فطورها في فراشها؛ حتى لا تزعج أحداً.

كان شعوره طيباً تجاه "چيردا" هذا الصباح، وبدا له أن المضايقات التي كانت ترهق أعصابه أخيراً قد زالت عنه تماماً.

وكان السير "هنري" قد خرج مع "إدوارد" في نزهة صيد، بينما راحت السيدة "أنجكاتيل" تقضي الوقت في العناية بالحديقة وهي تحمل سلة وتحمي يديها بقفازين. وقد ظل "جون" يبادلها الحديث برهة، حتى اقترب منه "جدجيون"، وقدم رسالة على طبق فضي، قائلاً:

– لقد وصلت هذه الرسالة الآن مع رسول يا سيدي.

وتناول الرسالة، ورفع حاجبيه عجباً حين عرف الخط، لقد كانت الرسالة من "فيرونيكا". وسار إلى المكتبة، حيث فض الرسالة وقرأ فيها:

"أرجو أن تتفضل بزيارتي هذا الصباح، يجب أن أراك "فيرونيكا".

– نفس اللهجة الآمرة. وكان ينوي ألا يلبي الدعوة، ولكنه عاد وقرر أن يجيب الدعوة فوراً ويضع نهاية لهذه المسألة. وسار في طريقه إلى حمام السباحة، الذي كان يبدو كأنه نواة تتفرع عنها جميع طرق الحديقة والغابة في كل اتجاه: واحد يرتقي التل في الغابة وواحد إلى حديقة الأزهار التي تعلو القصر وآخر إلى حديقة الخضر، وآخر يؤدي إلى ڤيللا "دوفكوت".

وكانت "فيرونيكا" في انتظاره، كانت ترقبه من نافذة حجرة الجلوس. فقالت له:

– تفضل بالدخول، إن الجو بارد هذا الصباح.

وفي حجرة الجلوس كانت النار مشتعلة. وفي ضوء المصباح أدرك، وهو

يحدق إليها، الفوارق بينها وبين "فيرونيكا" التي عرفها منذ خمسة عشر عاماً، وهي الفوارق التي لم يفطن إليها في الليلة الماضية.

إنها أوفر جمالاً الآن، ولا شك في أنها تقدر جمالها حق قدره، وتتعهده وترعاه. أما شعرها الذهبي. فقد تحول إلى اللون الفضي. وأما حاجباها فقد تغيرا، وأعطيا لوجهها تعبيراً أكثر حدة. وهي لم تكن قط على جانب قليل من الثقافة، فهي تحمل درجة جامعية، ويمكنها أن تدير مناقشة فيها ذكاء واطلاع. ولكنها ظلت امرأة أنانية إلى أبعد الحدود.

قالت "فيرونيكا":

– لقد أرسلت في طلبك؛ لأن علينا أن نتحدث، ونرتب أمورنا للمستقبل.

فاشعل لفافة تبغ ثم قال وهو يبتسم بلطف:

– ولكن. هل أمامنا ما يمكن أن نطلق عليه اسم المستقبل؟

– ماذا تعني؟ أمامنا المستقبل، لقد أضعنا خمسة عشر عاماً، فلا داعي للمزيد من الوقت الضائع.

– إنني آسف، ولكن يبدو أنك لم تفهمي الأمور على حقيقتها، لقد... تمتعت باللقاء معك ليلة أمس، ولكن لكل منا طريق في الحياة جد مختلف.

– هراء.. إننا نتبادل الحب، ولقد كنا نتبادل الحب منذ وقت طويل، وكنت عنيداً جداً في الماضي. إنني لا أنوي العودة إلى "الولايات المتحدة"، بل سأبقى في "لندن"، فلدي مسرحية رائعة سأقوم بتمثيل الدور الأول فيها، ولا شك في أنها ستنجح.

– إنني واثق بأنها ستنجح.

– وهكذا يمكنك أن تمارس عملك الطبي، فقد أصبحت الآن طبيباً مشهوراً.

– ولكنني متزوج، ولي أطفال.

– أنا شخصياً متزوجة الآن، ولكن هذه الأمور يسهل معالجتها ويمكن لاي محام ماهر أن يرتب كل شيء، فقد كنت دائماً أحلم بالزواج منك يا حبيبي، ولست أدري سر هذه العاطفة الجياشة ولكنها هي الحقيقة.

– إنني آسف يا عزيزتي... فإن لكل منا طريقه في الحياة، ولا فائدة ترجى من محام يقوم بأية ترتيبات.

– انت إذن تفضل زوجتك وأولادك؟

– قد يبدو هذا غريباً، ولكنها الحقيقة.

– هراء... إنك ما زلت تحبني.

– إنني آسف يا "فيرونيكا"...

– تعني انك لا تحبني؟

– من الأفضل أن نوضح هذه المسائل، فانت سيدة رائعة الجمال، لكنني لا أحبك!

وجلست "فيرونيكا" جامدة كانها تمثال، وأشعره جمودها بالقلق، وحين تكلمت كان في حديثها قسوة روعته:

– من هي؟

– ماذا تعنين؟

– تلك المرأة التي كانت تقف معك بالأمس.

كانت تقصد "هنريتا"، وبصوت عال قال:

– من تقصدين: "ميدج هارد كاسل"؟

– "ميدج" هي الفتاة السمراء، وأنا لا أقصدها، ولا أقصد أيضاً زوجتك، إنني أقصد تلك الأخرى التي كانت تقف معك إلى جوار المدفأة. إنك ترفض الزواج مني بسببها، ولا تحاول أن تلبس مسوح البراءة فتدعي أن ذلك من أجل زوجتك وأولادك.

ونهضت من مقعدها، واتجهت إليه، ثم قالت:

– ألا تعلم يا "چون" أنني منذ جئت إلى "إنجلترا" قبل ثمانية عشر شهراً وأنا أفكر فيك؟ لماذا جئت إلى هذا المكان؟ إنني جئت لأنني اكتشفت انك تاتي في عطلة نهاية الأسبوع لزيارة آل "أنجكاتيل".

– إذن فقد كان كل ما حدث أمس من قبيل التمثيل.

– إنك خلقت من أجلي يا "چون"، لا شك في هذا.

– أحقاً؟

– اصغ إليَّ.. لقد تخليت عني منذ خمسة عشر عاماً، وهأنت تتخلى عني اليوم، وساجعلك تندم في يوم من الأيام على ما فعلت.

ونهض "چون كريستو" إلى الباب وهو يقول:

– إنني آسف يا "فيرونيكا" إذا كنت قد جرحت شعورك. إنك رائعة الجمال، وكنت قد أحببتك، الا نترك المسألة عند هذا الحد؟

– وداعاً يا "چون"، إنني لن أترك المسألة عند هذا الحد، وسترى أنني أكرهك كما لم أكره أي إنسان آخر.

فهز كتفيه وقال:

– إنني آسف... وداعاً.

وعاد "چون" أدراجه خلال الغابة وهو يسير الهوينى، وحين بلغ حمام السباحة جلس على أحد المقاعد. إنه لم يأسف على معاملته لـ"فيرونيكا"، لقد كانت مشكلة رديئة، ومن الأفضل له أنه تخلص منها في الوقت المناسب. وغمره شعور غريب بانه يبدأ صفحة جديدة من حياته.

وفجاة سمع صوتاً، فنظر إلى مصدره وقد أزعجه أن يعكر عليه خواطره. وسمع أصوات طلقات نارية في الغابة، وربما كان الصوت صادراً عن الطيور الفارة من الغابة.. ولكن لا.. إن هذا صوت آخر. إنه صوت...

وتملكه شعور بالخطر. . إن هناك من يرقبه، واستدار فجأة، ولكنه لم يستدر بسرعة. . فقد رأى من يراقبه، واتسعت حدقتاه في دهشة، ولكن لم يكن أمامه الوقت الكافي للحديث.

ومزق السكون صوت طلق ناري، وسقط "**چون**" على وجهه على طرف حمام السباحة، وجرى خيط رفيع من الدم على حافة الحمام، وسقط في الماء.

*****

فرغ "**هيركيول بوارو**" من ارتداء ملابسه، وألقى نظرة أخيرة عليها، وشعر بالارتياح. لقد كان يعرف نوع الملابس التي يرتديها الإنجليز في الريف. ولكنه لم يكن ينوي أن يتبع الذوق الإنجليزي. إنه لا يحب الريف الإنجليزي. لقد اشترى "**ريست هافن**" لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، لقد أعجبته الفيللا وأعجبته بصفة خاصة الخضر التي قام بتنسيقها خادمه البلچيكي "**فيكتور**"، أما "**فرانسواز**" زوجة "**فيكتور**"، فقد ركزت اهتمامها في طهو الطعام.

وغادر "**بوارو**" باب الحديقة، ثم ألقى نظرة على حذائه اللامع، وأحكم وضع قبعته، وسار في طريقه إلى قصر "**هولو**" وكانت هذه أول زيارة لآل "**أنجكاتيل**". والواقع أنه كان مسروراً لتلبية دعوتهم؛ فقد كانت لديه فكرة طيبة عنهم ترجع إلى أيام "**بغداد**"، خصوصا السيدة "**أنجكاتيل**" التي كانت في رأيه رائعة. ووصل إلى باب القصر في الساعة الواحدة إلا دقيقة، فدق الجرس، وفتح "**جدجيون**" الباب، وقال:

– إن سيدتي في الاستراحة الملحقة بحمام السباحة، تفضل يا سيدي من هذا الطريق.

كان من عادة آل "**أنجكاتيل**" أن يدعوا ضيوفهم إلى كوكتيل الساعة الواحدة في الاستراحة الملحقة بحمام السباحة. . أما الغداء فكان موعده الواحدة

والنصف، فمن الواحدة حتى الواحدة والنصف يكون جميع ضيوف السيدة قد حضروا، فيبدأ الغداء دون تأخير.

ومضى "**بوارو**" خلف رئيس الخدم... وفي هذه اللحظة سمع صرخة قصيرة، زادته ضيقاً وأطاحت بسروره؛ فلم يكن قد وضع في حسابه أنه سيسمع صراخًا، وتنحى "**جدجيون**" ليسمح لـ"**بوارو**" بالتقدم، وتنحنح ليعلن قدومه بطريقته المعروفة... ولكنه شهق وصمت. أما "**بوارو**" فإنه سار إلى الفضاء المحيط بحمام السباحة، ولكنه جمد في مكانه من فرط الدهشة والغضب... لقد أحكموا تمثيل المسرحية! لم يخطر له ببال أن آل "**أنجكاتيل**" يمكن أن يدبروا له مثل هذه المفاجأة الرخيصة.

كان أمامه "منظر" جريمة قتل مثلت خير تمثيل: فإلى جانب حمام السباحة كانت الجثة، وقد أحكم وضعها على حافة حمام السباحة، بل لقد بسطوا للجثة ذراعاً، ولم يغفلوا الطلاء الأحمر الذي سكبوه على الجثة وجعلوه يسيل ببطء إلى مياه الحمام. وإلى جوار الجثة وقفت سيدة تمسك مسدساً في يدها: سيدة متوسطة العمر، قوية الجسم، ذات نظرة جوفاء.

وكان ثمة ثلاثة ممثلين آخرين... ففي الطرف البعيد من حمام السباحة وقفت سيدة حمراء الشعر فارعة القامة، تحمل سلة مملوءة بزهور "**الداليا**"، وعلى مسافة غير بعيدة منها وقف رجل طويل القامة، يرتدي ملابس الصيد، ويحمل بندقية... وإلى يساره ظهرت مضيفته السيدة "**أنجكاتيل**"، تحمل سلة بيض.. وكان واضحًا لـ"**بوارو**" أن حمام السباحة هو ملتقى ممرات الحديقة، وأن كل شخص من هؤلاء جاء من ممر مختلف.

كان المنظر كله غير طبيعي، كأنما أحكم ترتيبه.

وتنهد "**بوارو**"... ترى ماذا يريدون منه أن يفعل؟ هل ينتظرون منه أن يصدق أن هذه جريمة؟ أم هم يريدونه أن يفزع، أو ينحني للسادة الممثلين

ويقول: "إنه أداء ممتاز ومسرحية ناجحة؟"

واتجهت السيدة "**أنجكاتيل**" إلى الجثة، وتبعها "**بوارو**" وهو يشعر بأنفاس "**جدجيون**" اللاهثة خلفه، وقال لنفسه: "يبدو أن كبير الخدم ليس مطلعًا على سر المسرحية". ومن الطرف الأقصى لحمام السباحة تقدم الاثنان الآخران حتى التقيا بهما. ونظر الجميع إلى الجثة الملقاة على الأرض.

*****

وفجأة أدرك أن المنظر المسرحي يحمل ظلالاً من الحقيقة، فقد كانت الجثة لرجل يعاني سكرات الموت، وما خاله طلاء أحمر ليس إلا دمًا. لقد أطلق الرصاص على الرجل منذ لحظات.

والقى نظرة سريعة على المرأة التي تحمل المسدس في يدها. وكان وجهها خاليًا من التعبير عن أية عاطفة. كانت تبدو مذهولة غبية... ترى هل ذهبت إحساساتها مع الطلقة التي خرجت من مسدسها؟ ونظر إلى الرجل المصاب، وجفل حين وجده مفتوح العينين، وكانت عيناه زرقاوين عميقتين. وتحمل معنى واضحًا من الحيوية!

وفتح "**چون كريستو**" فمه ليتكلم. وكان صوته واضحًا، سريعًا، قاطعًا، وقال: "**هنريتا**"!

ثم انحدر رأسه، وأغمض عينيه... وركع "**بوارو**" بجواره وفحصه، ثم قال:

– نعم... إنه مات!

وفجأة دبت الحيوية في الجماعة. وبدأ رد الفعل يظهر على الجميع. وأحس "**بوارو**" أنه في تمام اليقظة يسجل حركات الجميع...

لقد لاحظ أن السيدة "**أنجكاتيل**" قد خفت قبضتها على سلة البيض.

وتقدم "**جدجيون**" بسرعة والتقط السلة قبل أن تسقط، وغمغمت السيدة:

– شكرًا لك يا "**جدجيون**".

ترددت قليلاً، ثم قالت:

– "**چيردا**"...

وانتفضت السيدة التي تحمل المسدس، وواجهتهم جميعًا، وحين تحدثت كانت الحيرة واضحة في نبرات صوتها. قالت:

– لقد مات "**چون**"... مات "**چون**"!

وبسرعة تحركت السيدة ذات الشعر الأحمر إلى جوارها وقالت:

– "**چيردا**"، أعطيني هذا...

وقبل أن يتحرك "**بوارو**"، أو يحتج، أخذت المسدس من يد "**چيردا كريستو**" وتقدم "**بوارو**" خطوة نحوها وقال:

– لا ينبغي أن تفعلي هذا يا آنسة.

وحملقت الآنسة ذات الشعر الأحمر إليه بعصبية، وانزلق المسدس من يدها. وكانت تقف على حافة الحمام فسقط المسدس في الماء! وفغرت فاها في دهشة ممزوجة بالأسف، وقالت:

– أوه! كم أنا غبية... إنني آسفة.

وصمت "**بوارو**" لحظة، كان يحدق إلى عينيها الرماديتين الصافيتين، وكانت تبادله نظرات ثابتة، وظن "**بوارو**" لحظة أنه قد أخطأ حقيقة نياتها، فقال بهدوء:

– لا ينبغي أن نغير من الوضع شيئًا، وكل شيء يجب أن يبقى في مكانه حتى يحضر رجال البوليس.

ولدى ذكر كلمة "البوليس" سرت رعدة في الجميع، وقالت السيدة "**أنجكاتيل**" في صوت لا ينم عن الارتياح:

آه طبعًا... البوليس.

فقال "**إدوارد**" وهو الرجل الذي يرتدي ملابس الصيد:

– أخشى أنه لابد من استدعاء البوليس يا "**لوسي**".

وران الصمت على الجميع، وفي هذه اللحظة سمعوا وقع خطوات سريعة، وأقبل السير "**هنري أنجكاتيل**" ترافقه "**ميدج هارد كاسل**"، وهما يتصايحان ويضحكان وحينما رأيا الجماعة التي تقف إلى جوار حمام السباحة، توقف "**هنري**"، وقال في دهشة:

– ماذا حدث؟

فأجابت السيدة "**أنجكاتيل**" في صوت حاد:

– إن "**جيردا**" قد... أقصد أن "**جون**" قد...

فقالت "**جيردا**" في صوتها الحائر:

– لقد أطلق الرصاص على "**جون**"، لقد مات!

وأشاح الجميع عنها في ارتباك، وقالت السيدة "**أنجكاتيل**" بسرعة:

– أظن من الأفضل أن تصيبي شيئًا من الراحة يا "**جيردا**" يحسن بنا أن نعود إلى القصر، ونترك "**هنري**" و"**بوارو**" هنا، ريثما يأتي البوليس.

فقال السير "**هنري**":

– هذه فكرة طيبة...

ثم استدار إلى "**جيدجون**" وقال له:

– عليك أن تتصل تليفونيًا بالبوليس، وأنبئهم بما حدث، ومتى حضروا، فقدهم إلى هنا.

فأومأ "**جدجيون**"، وقال:

– حسنًا يا سير "**هنري**".

وقالت "**هنريتا**":

– هيا يا "**جيردا**".

ثم تأبطت ذراعها، وقادتها نحو القصر. وكانت "**جيردا**" تمشي كأنها في

حلم. واستدار السير "**هنري**" إلى زوجته، وسألها:

– والآن يا "**لوسي**"، ماذا حدث بالضبط؟

فمدت السيدة "**أنجكاتيل**" ذراعيها في حركة جميلة يائسة، حتى لقد أحس "**بوارو**" برشاقتها، وقالت:

– إنني لا أعرف يا عزيزي... كنت في حظيرة الدجاج حين سمعت صوت طلق ناري يبدو قريبًا، ولكني لم أهتم به. وبعد برهة عدت من الممر لأجد "**جون**" ملقى على حافة حمام السباحة وقد وقفت بجواره "**جيردا**" تحمل مسدسًا. وفي هذه اللحظة وصلت "**هنريتا**" و"**إدوارد**" من الطرف الآخر للحمام.

وتنحنح "**بوارو**"، وسأل:

– من هما "**جون**" و"**جيردا**"؟

– آه طبعًا، الإنسان ينسى أحيانًا أن يقدم الأشخاص، خصوصًا الموتى. "**جون**" هو "**جون كريستو**" دكتور "**كريستو**"، و"**جيردا كريستو**" هي زوجته.

– ومن هي الآنسة التي كانت ترافق السيدة "**كريستو**" إلى القصر؟

– إنها ابنة عمي "**هنريتا سافرنيك**".

وشعرت بحركة خفيفة تصدر عن "**بوارو**"... لقد قال الرجل الميت: "**هنريتا**". وقالها بلهجة غريبة.

واستمرت السيدة "**أنجكاتيل**" في أداء واجبها الاجتماعي، فقالت:

– وهذا ابن عم آخر: "**إدوارد أنجكاتيل**"، وهذه الآنسة "**هارد كاسل**".

فانحنى لهم "**بوارو**" بأدب، وشعرت "**ميدج**" أن منظره يبعث على الضحك، ولكنها قاومت الضحك بمجهود كبير، وأخيرًا قال السير "**هنري**":

– والآن يا عزيزتي، أظن أنه يحسن أن تذهبوا إلى القصر وسأتحدث هنا مع

السيد "**بوارو**".

ثم التفت إلى هذا الأخير وقال:

– إنك تدرك الكثير عن هذه المسائل، إنني لم أواجه جريمة قتل من قبل، أرجو أن أكون قد تصرفت التصرف الصحيح.

– لقد تصرفت التصرف الصحيح، فاستدعيت البوليس، وحتى يحضر البوليس ليس أمامنا ما يمكن أن نفعله، اللهم إلا المحافظة على كل شيء كما هو.

وكان وهو يتكلم، ينظر إلى المسدس الملقى في قاع الحمام. لقد تدخل بعضهم لتشويه هذا الدليل، ولكن يبدو أن ما حدث كان من قبيل المصادفة.

وقال السير "**هنري**":

– إن الجو بارد هنا، ألا يحسن أن نجلس في الاستراحة؟

ووافق "**بوارو**" على الفور. لقد كانت الاستراحة في الطرف البعيد من حوض السباحة، ومن خلال بابها المفتوح أمكنهما أن يراقبا كل شيء أمامهما، ويريا الطريق الذي سيأتي منه رجال البوليس. وكانت الاستراحة مفروشة فرشًا أنيقًا. وعلى منضدة في وسطها كانت أقداح الشراب موضوعة مع زجاجة "**شيري**".

وقال السير "**هنري**":

– بودي أن أقدم لك قدحًا، لولا أنه من غير المستحب أن نمس أي شيء هنا، ولو أنني لا أعتقد أن للاستراحة شأنًا في هذه الجريمة.

وجلس الرجلان على مقعدين بجوار الباب، وران عليهما الصمت، وفحص "**بوارو**" الاستراحة، فلم ير شيئًا غير مألوف، اللهم إلا معطف فرو ملقى على أحد المقاعد، وعجب "**بوارو**" ترى من هي صاحبته؟ إنه شيء أنيق غالي الثمن لا يتناسب مع بساطة هؤلاء الناس، ولا يمكن لـ"**بوارو**" أن يتخيل أن واحدة منهن هي صاحبته... وشعر بالقلق لهذه الفكرة. وقدم السيد "**هنري**" سيجارة إلى "**بوارو**" وقال:

– أظن أنه يمكننا أن ندخن.

ولم يمد "**بوارو**" يده على الفور ليأخذ السيجارة، فقد كان يتشمم رائحة... رائحة عطر فرنسي، غالي الثمن، ومرة أخرى لم يتصور "**بوارو**" أن هذا العطر يمكن أن يكون لأحد من سكان قصر "**هولو**". وحين انحنى ليشعل له السير "**هنري**" سيجارته، لمح بعض علب الكبريت.. ست علب مرصوصة على طاولة صغيرة بجوار أحد المقاعد.

ورأى "**بوارو**" أن وجود هذا الكبريت شيء غريب.

- 7 -

قالت السيدة "**أنجكاتيل**" وهي جالسة في قاعة الاستقبال مع "**ميدج**" و"**إدوارد**"، في انتظار ما يحدث خلف باب حجرة المكتب حيث جلس السير "**هنري**" و"**بوارو**"، والمفتش "**جرانج**":

– الساعة الآن الثانية والنصف، ومازلت أرى يا "**ميدج**" أنه لابد من تصرف معين بخصوص الغداء. إن الجلوس إلى مائدة الغداء الآن – كأنما لم يحدث شيء – أمر يبدو غير معقول، ولكن لا تنسي أننا دعونا السيد "**بوارو**" للغداء، ولا شك في أنه الآن جائع، ولا شك أيضًا في أن موت "**جون كريستو**" لن يؤثر فيه كما أثر فينا، هذا فضلاً عن أن "**هنري**" و"**إدوارد**" لابد أن يكونا جائعين بعد رحلة الصيد.

فقالت "**ميدج**":

– لا تقلقي بشأني يا عزيزتي "**لوسي**".

– إنك لطيفة دائمًا، ولكن "**دافيد**" لا شك جوعان الآن، وعلى فكرة، أين هو؟ إنني لم أره؟

– لقد صعد إلى غرفته بعد أن سمع بأنباء الجريمة.

– حسنًا فعل، ولكن كيف يتصرف الإنسان مع "**چيردا**" ؟ هل نرسل الطعام إلى حجرتها؟ بعض الحساء مثلاً؟

ودخل "**جدجيون**" يقول:

– لقد وضعت بعض الشطائر (السندويتشات) والقهوة في حجرة الطعام يا سيدتي.

– أوه، شكرًا يا "**جدجيون**".

حقا إن "**جدجيون**" رائع، ولست أدري ماذا يمكن أن أفعل بدونه، إنه دائمًا يعرف كيف يتصرف التصرف الصحيح.

ودخلت "**هنريتا**" الغرفة، مرفوعة الرأس، فسألتها السيدة "**أنجكاتيل**":

– آه "**هنريتا**"، ماذا فعلت مع "**چيردا**" ؟

– لقد أعطيتها بعض الشراب.

– إنه علاج طيب للصدمات، على أنني لا أظن أن "**چيردا**" تعاني صدمة، ولو أنني لا أعرف شعور المرأة التي تقتل زوجها...

فقالت "**هنريتا**" ببرود:

– ما الذي جعلكم جميعًا متأكدين من أن "**چيردا**" هي التي قتلت "**چون**" ؟

وران الصمت على الجميع برهة، وشعرت "**ميدج**" بأن الجو قد توتر، وأخيراً قالت السيدة "**أنجكاتيل**":

– كان هذا يبدو واضحًا بسيطًا، ولكن ما رأيك أنت؟

– أليس الأرجح أن تكون قد مرت بجوار حمام السباحة، فرأت زوجها ملقى بجواره، فالتقطت المسدس في نفس اللحظة التي حضرنا نحن فيها إلى مسرح الجريمة؟

وخيم عليهم الصمت مرة أخرى، وأخيراً قالت السيدة "**أنجكاتيل**":

– هل هذا ما تقوله "**چيردا**" ؟

– نعم...

– حسنًا.. إن هناك بعض السندويتشات والقهوة في حجرة الطعام...

ثم شهقت حين رأت "**چيردا**" تدخل الحجرة، وهي تقول:

– لم أستطع الاستلقاء، إنني أشعر بالقلق والضجر.

– ولكن يجب أن تستريحي.

وأجلستها في مقعد مريح، ثم قالت:

– يا للفتاة المسكينة!

ونهض "**إدوارد**" إلى النافذة، وقالت "**چيردا**" في ارتباك:

– لقد بدأت أدرك ما حدث، إنني لا يمكن أن أصدقه، إن "**چون**" لم يمت، ومن يمكن أن يقتله؟ إنه ليس له أي أعداء.

والتفتت السيدة "**أنجكاتيل**" فجأة إلى باب المكتبة، فقد فتح وخرج منه السير "**هنري**" يرافقه المفتش "**جرانج**" وكان رجلاً ضخم الجسم عريض المنكبين، وقال "**هنري**":

– هذه زوجتي يا سيدي المفتش.

– هل يمكن أن أتبادل الحديث مع السيدة "**كريستو**" ؟

فأشارت إلى "**چيردا**"، فقال المفتش:

– هل أنت السيدة "**كريستو**" ؟

– نعم.

– إنني لا أريد إزعاجك، ولكنني أريد أن ألقي عليك بضعة أسئلة، وطبعًا يمكنك أن تطلبي حضور محام.

– محام؟ ولماذا؟ وماذا يعرف المحامي عن موت "**چون**" ؟

فسعل المفتش، وقالت "**هنريتا**":

– إن المفتش يريد أن يعرف ماذا حدث هذا الصباح.

– إن ما حدث يبدو كحلم مزعج، إنه ليس الحقيقة على الإطلاق، إنني لا اقوى على الصراخ أو البكاء، إنني أشعر بانني مسلوبة الإرادة.

– هذا من تاثير الصدمة يا سيدة "**كريستو**".

– اظنه كذلك، ولكن كل شيء حدث بسرعة، لقد غادرت القصر وسرت في الممر المؤدي إلى حمام السباحة...

– كم كانت الساعة يا سيدة "**كريستو**"؟

– كانت الواحدة إلا دقيقتين، وانا متاكدة من الوقت لانني تطلعت إلى الساعة قبل أن اغادر القصر، وحين بلغت حمام السباحة كان "**چون**" ملقى على حافته، وقد نزف منه دم كثير سال على حافة الحمام وسقط إلى الماء.

– هل سمعت صوت طلق ناري؟

– نعم.. لا... الواقع انني لا ادري، فقد كنت أعلم ان السير "**هنري**" والسيدة "**أنجكاتيل**" يصطادان في الغابة... إن كل ما رايته هو "**چون**".

– نعم يا سيدة "**كريستو**"، ثم ماذا؟

– "**چون**".. والدم.. ومسدس ملقى بجانبه، فالتقطت المسدس.

– لماذا التقطت المسدس؟

– إنني... إنني لا أدري!

– كان لا ينبغي ان تلتقطيه...

– أحقًا؟ ولكنني فعلت!

وكانت تنظر إلى يديها، كانما هي تبحث عن المسدس، وفجاة تحولت إلى المفتش، وقالت في صوت حاد، وفي ألم:

– من يمكن أن يقتله؟ إن أحداً لا يحقد على "**چون**"، لقد كان افضل الرجال: كان كريمًا منكرًا لذاته مضحيًا براحته في سبيل خدمة الغير. وكان مثالاً

للزوج العطوف الكريم، لا شك في ان القتل حدث خطأ، لابد...

وأشارت بيديها إلى الجميع، وقالت:

– سل الجميع، إن أحداً لم يكن يبغي قتل "**چون**"، أليس كذلك؟

وطوى المفتش "**جرانج**" دفتر مذكراته، وقال:

– شكرًا لك يا سيدة "**كريستو**"، أظن ان هذا يكفي الآن.

وغادر "**بوارو**" القصر برفقة المفتش "**جرانج**" في طريقهما إلى حمام السباحة، وكانت جثة "**چون**" قد تم فحصها وتصويرها بمعرفة الطبيب الشرعي، ثم نقلت إلى المشرحة... وظهر رجل على سطح ماء الحمام، وقال للمفتش:

– ها هو المسدس يا سيدي المفتش.

فالتقط المفتش السلاح بعناية، ثم قال:

– لا أمل في وجود بصمات، ولكن هذا لا يهم، فقد شهد الجميع ان السيدة "**كريستو**" كانت ممسكة به، اليس كذلك يا سيد "**بوارو**"؟

– نعم.

– إن التعرف على المسدس هو الخطوة التالية، وأعتقد ان السير "**هنري**" سيفعل ذلك بسهولة ولا شك في أنها حصلت عليه من غرفة مكتبه.

– أتعني أن السيدة "**كريستو**" قد أطلقت الرصاص على زوجها؟

– الا تعتقد ذلك؟

– ربما كان الأمر كما قالت:

– ربما، ولكنها قصة لا يصدقها معتوه، فضلا عن أنهم جميعًا يعتقدون أنها قتلته، وهم أكثر منا علمًا بالحقائق... لقد رأيتها بنفسك، الا تعتقد أنها هي القاتلة؟

وغرق "**بوارو**" في خواطره، وعاد بذاكرته إلى اللحظات التي شهد فيها الحادث. لقد كان يبدو غير حقيقي، كانما هو دور يُؤدى على مسرح. وتذكر

نظرة السيدة "**كريستو**" الجوفاء. ترى هل هذه هي نظرات القتلة؟ ولدهشة "**بوارو**" ادرك انه خلال تاريخه البوليسي الطويل، لم يقابل قاتلاً واحداً لحظة ارتكاب الجريمة، ومن ثم لم يكن يعرف اية نظرة يمكن أن ترتسم في عيني القاتل: هل هي لمعة الانتصار، أم الرعب، أم السرور، أم الذهول... ربما كانت إحداها. وسمع المفتش يقول:

– بعد أن نقف على جميع الحقائق، وهذه نحصل عليها من الخدم بسهولة...

فقاطعه "**بوارو**" بقوله:

– ولكن السيدة "**كريستو**" ستعود إلى "**لندن**".

– نعم، فإن لها طفلين، ولا مناص من ذهابها، ولكننا سنراقبها من حيث لا تدري.

وكانا خلال الحديث قد تحولا إلى الطريق المؤدي إلى ڤيللا "**ريست هافن**"، فتوقف "**بوارو**" إلى جوار البوابة، فقال "**جرانج**":

– أهذه ڤيللتك؟ إنها بديعة، من هم جيرانك في الجهة الأخرى؟

– الآنسة "**فيرونيكا كراي**" الممثلة، إنها تاتي إلى هنا في عطلة نهاية الأسبوع.

– آه طبعًا، ڤيللا "**دوفكوت**"، إنها ممثلة رائعة.. والآن ساعود لاستئناف العمل..

✽✽✽✽✽

وضع المفتش "**جرانج**" المسدس على الكتب أمام السير "**هنري**"، وقال:

– هل تعرف هذا المسدس؟

– هل يمكن أن أفحصه؟

– لقد كان في قاع حمام السباحة، ولقد أضاع الماء اية بصمات يمكن أن تكون عليه، إنه سقط من الآنسة "**سافرنيك**" في الماء... مع الأسف.

– إنك طبعًا تقدر الظروف، فالنساء دائمًا لا يحسن التحكم في أعصابهن.

فهز المفتش رأسه وقال:

– ولكن الآنسة "**سافرنيك**" تبدو رزينة قوية الأعصاب... هل تعرف المسدس يا سيدي؟

وأمسك السير "**هنري**" بالمسدس، وشرع يفحصه، فاكتشف أن الرقم المدون عليه من أرقام الأسلحة التي يحتفظ بها، فقال وهو يتنهد:

– نعم يا سيدي المفتش، إن هذا المسدس من مجموعتي.

– متى رأيته لآخر مرة؟

– بعد ظهر أمس، كنا نتدرب على الرماية في الحديقة، وكان هذا المسدس ضمن المجموعة التي كنا نتدرب عليها.

– من كان يتدرب عليه؟

– أظننا جميعًا أطلقنا منه الرصاص.

– حتى السيدة "**كريستو**"؟

– نعم.

– وبعد التدريب على الرماية، ماذا حدث؟

– أعيدت الأسلحة إلى مكانها هنا.

وأشار إلى أحد أدراج مكتبه، حيث رأى المفتش مجموعة كبيرة من الأسلحة، فسأل:

– هل تحتفظ بالأسلحة محشوة بالرصاص؟

– كلا بالطبع.

– وأين تحتفظ بالرصاص؟

فاخرج السير "**هنري**" مفتاحاً، فتح به أحد أدراج مكتبه، ثم قال:

– هنا.

وفكر المفتش "**جرانج**"، إن الأمر في غاية السهولة، إن السيدة "**كريستو**" حصلت على السلاح من غرفة المكتب، وبدافع الغيرة قتلت زوجها. إن عليه أن يستكمل الحقائق في شارع "**هارلي**" حيث يقطن الطبيب.

ونهض وهو يقول:

– شكراً لك يا سير "**هنري**"، سوف أخطرك بموعد جلسة التحقيق.

- 8 -

استيقظت "**ميدج**" فجأة في صباح الاثنين. وبقيت مستلقية على فراشها تنظر إلى الباب كما لو كانت تنتظر أن تقتحم عليها السيدة "**أنجكاتيل**" الغرفة... ترى ماذا كانت "**لوسي**" تقول حينما اقتحمت عليها غرفة نومها ذلك الصباح؟ لقد كانت ترى أن عطلة نهاية الأسبوع ستكون مشكلة... وكانت تتوقع حدوث أشياء!

نعم، ولقد حدث ما عكر صفو العطلة كما توقعت "**لوسي**"، حدث شيء يجثم على صدر "**ميدج**" كأنه الكابوس، ولا تريد أبدا أن تتذكره..

ولكن أسوأ ما في الأمر أنه حدث كما تصوره القصص البوليسية.

وكان لها ول"**إدوارد**"، و"**لوسي**"، و"**هنري**"، و"**هنريتا**" دور فيما حدث. ولكنهم جميعًا لا شأن لهم بما حدث، إذا كانت "**چيردا**" هي التي أطلقت الرصاص على زوجها.

ولكن "**چيردا**" غبية، ولا يمكن أن تقتل ذبابة. واعتراها القلق لهذه الفكرة، فمن يمكن أن يقتل "**چون**"؟ لقد وجدوا "**چيردا**" إلى جوار الجثة، وهي لا

تزال تمسك بالمسدس في يدها.. المسدس الذي أخذته من مكتبة "**هنري**". لقد قالت إنها وجدت زوجها ميتًا والمسدس إلى جانبه، فالتقطت المسدس، ولكن هذا القول يحتاج إلى دليل.

وجميل من "**هنريتا**" أن تدافع عن "**چيردا**"، ولكنها لا تدري أن دفاعها يلقي ظلالاً من الشك على الباقين.. مسكينة "**هنريتا**"، لقد كانت تحب "**چون**"... وكانت شخصية "**چون**" القوية هي التي غطت على شخصية "**إدوارد**" وحجبتها.

ولقد تحققت "**ميدج**" من صدق ظنونها حينما نزلت لتناول طعام الإفطار، فقد وجدت شخصية "**إدوارد**" – وقد تحرر من شخصية "**چون كريستو**" – قد ظهرت على حقيقتها وضاءة لطيفة. لقد بدا لها واثقًا بنفسه وأقل ترددًا. وكان يتكلم مع "**داڤيد**" ويقول:

– يجب أن تزورني في "**إيتزويك**".

– إنني لا أحب هذه القصور التاريخية، لقد فات وقتها، ويجب أن توزع على الفلاحين الكادحين؟!

– إن فلاحينا قوم بسطاء، وهم يحبون معيشتهم.

وتدخلت السيدة "**أنجكاتيل**" موجهة الحديث إلى "**داڤيد**":

– يجب أن نتبادل الحديث كثيرا يا "**داڤيد**"، لأعرف المزيد من آرائك الحديثة. إنني أفهمها في جملة واحدة هي: أنه يجب على كل امرئ أن يكره كل امرئ آخر، ومع ذلك يقدم له الدواء والخدمات المجانية!

إن "**لوسي**" لا تزال كما هي. و"**جدجيون**" لا يزال أيضًا كما هو. والحياة في قصر "**هولو**" لم تتغير، بل عادت سيرتها الأولى بعد رحيل "**چيردا**". لقد مضت أحداث الأمس كأنها حلم. وسمعت أصوات عجلات في الخارج، لقد عاد السير "**هنري**" بعد أن دبر أمور "**چيردا**"، وبات ليلة في النادي، وها هو

يعود مع الصباح. وسألته "**لوسي**":

– هل سار كل شيء على ما يرام يا عزيزي؟

– نعم، لقد تولت سكرتيرة "**جون كريستو**" الأمور، وهي سكرتيرة بارعة. ولقد وجدت أن لـ"**چيردا**" شقيقة، فاتصلت بها تليفونيًا.

– آه، هكذا كنت أظن.

وتقدم "**جدجيون**" من سيده، وقال:

– لقد اتصل المفتش "**جرانج**" تليفونيًا، وقال إن التحقيق سيكون في الحادية عشرة من صباح الأربعاء.

فأومأ السير "**هنري**" برأسه، وقالت السيدة "**أنجكاتيل**":

– "**ميدج**"، إن عليك أن تتصلي بمحل عملك.

وسارت "**ميدج**" إلى التليفون – لقد كانت تعيش حياة عادية – ووجدت أنه من الصعب أن تشرح الأمور للسيدة "**ألفاج**" – صاحبة المحل الذي تعمل فيه وهي سيدة صعبة المراس، وليس من السهل إقناعها. وأمسكت بسماعة التليفون، واتصلت بمخدومتها... وكانت المناقشة كما توقعت أن تكون، وسمعت صوت السيدة "**ألفاج**" الحاد يقول:

– ماذا تقولين يا آنسة "**هارد كاسل**"؟ جريمة قتل؟ ألا تعلمين أننا نعاني نقصًا في الأيدي العاملة؟ هل تظنين أنني سأقتنع بهذه الأعذار؟ الواقع أنك تقضين إجازة طيبة، ولا تريدين أن تقطعي إجازتك.

وفي هذه اللحظة فتح "**إدوارد**" الباب ودخل، ولكنه حين وجدها تتحدث تليفونيًا، حاول أن يغادر الغرفة، إلا أن "**ميدج**" استوقفته قائلة:

– ابق من فضلك يا "**إدوارد**"، إنني أريدك بجانبي.

كان وجود "**إدوارد**" حافزًا لها ومشجعًا، فأزاحت يدها عن سماعة التليفون، وكانت السيدة "**ألفاج**" تصيح بصوتها القبيح:

– أي نوع من الناس أصدقاؤك، هؤلاء الذين يطلقون الرصاص على الناس؟ إنني أفكر جديًا في طردك من وظيفتك، إنني حريصة على سمعة محلي.

وأبدت "**ميدج**" سعة صدر تحسد عليها، وحينما أقنعت مخدومتها أخيرًا وضعت السماعة، وقد غمرها الشقاء، قالت لـ"**إدوارد**":

– إنها مخدومتي، كنت أعتذر لها عن عدم الحضور بسبب التحقيق والبوليس.

– أرجو أن تكون قد قدرت عذرك، أي نوع من المحلات هذا الذي تعملين فيه؟ وهل مخدومتك سيدة لطيفة مشجعة؟

– إن اللطف هو آخر ما يمكن أن توصف به.

وقطب "**إدوارد**" حاجبيه من فرط الدهشة، فضحكت "**ميدج**"، وقال "**إدوارد**":

– ولكن يا عزيزتي، إذا كان ولابد من عمل، فإنه يجب أن يكون عملاً مريحًا مناسبًا مع أناس معقولين.

ونظرت إليه "**ميدج**" برهة دون أن تجيب: كيف تفسر الأمر لشخص مثل "**إدوارد**" لا يعلم شيئًا عن الوظائف. وفجأة شعرت بالمرارة: إن هناك حاجزًا ضخمًا بينها وبين "**إدوارد**" و"**لوسي**" و"**هنري**"، وحتى "**هنريتا**"... إنهم قوم أثرياء، وهي فتاة كادحة! إنهم لا يعلمون شيئًا عن صعوبة الحصول على عمل، والاحتفاظ به. وقد يقولون لها إنها ليست في حاجة إلى كسب قوتها، وإنه يسعدهم أن يقدموا لها العون المالي. ولكن شيئًا في أعماق نفسها كان يتمرد على العيش عالة على أقاربها الأثرياء. إن قضاء عطلة نهاية الأسبوع في ترف الأقرباء شيء محبب، ولكنها لا تقبل العيش عالة عليهم.

ونظر إليها "**إدوارد**" في عطف، وقال:

– هل أسأت إليك؟

ودخلت "**لوسي**" الحجرة، وكانت كعادتها قد أدارت المشكلة في رأسها، وناقشتها ثم قالت:

– لست أدري هل تفضل البقاء هنا، أم تقيم في فندق "**القلب الأبيض**"؟

وألقت عليها "**ميدج**" نظرة جوفاء، بينما استطردت هي:

– لا فائدة من سؤال "**إدوارد**" عن رأيه، أما أنت يا "**ميدج**" فإنك دائماً ذات أفكار عملية.

– إنني لا أدري عم تتحدثين.

– إنني أتحدث عن التحقيق يا عزيزتي. إن "**جيردا**" لابد أن تحضر التحقيق، فهل تقيم هنا، أم في فندق "**القلب الأبيض**"؟ إن إقامتها هنا صعبة، ولكن الناس سيجعلون حياتها أصعب إذا هي أقامت في الفندق.

- 9 -

كان "**هيركيول بوارو**" يحتسي قدحاً من الشوكولاتة، وكان الوقت ظهراً، حين دق جرس التليفون، وسمع صوتاً يقول:

السيد "**بوارو**"؟

– نعم، يا سيدة "**أنجكاتيل**".

– أليس غريباً أن تعرف صوتي؟ هل أزعجتك؟

– كلا، أرجو ألا تكون أحداث الأمس قد أزعجتك؟

– لقد أزعجتني فعلاً، هل يمكنك أن تتفضل بزيارتنا؟ الواقع أنني قلقة جداً.

– هل تريدينني الآن؟

– نعم الآن، إذا سمحت.

– حسناً، سآتي بطريق الغابة.

– هذا أفضل، لأنه أقصر الطرق، شكراً لك.

وارتدى "**بوارو**" ملابسه بسرعة، وغادر المنزل، واتخذ طريق الغابة. ووجد حمام السباحة مهجوراً، فقد فرغ رجال البوليس من عملهم وغادروا المكان. فبدا بريقاً صافيا هادئاً. وألقى نظرة سريعة على الاستراحة، فوجد أن معطف الفراء قد اختفى، ولكن علب الكبريت الست بقيت في مكانها، فزاد عجبه لوجودها: فلا شك في أن هذا ليس مكاناً لحفظ الكبريت، وعلبة واحدة تكفي. وغادر "**بوارو**" الاستراحة في طريقه إلى قصر "**هولو**"، وهو يعجب: ترى ما هو السبب في استدعائه هكذا على وجه السرعة؟

وكانت السيدة "**أنجكاتيل**" في انتظاره، فقادته إلى حجرة الجلوس الحالية، وهي تقول:

– جميل منك أن تلبي دعوتي.

– إنني في خدمتك يا سيدتي.

– إنها مشكلة صعبة، فالمفتش يستجوب "**جدجيون**". وحياتنا جميعاً تعتمد على وجوده، ولذلك فنحن جميعاً نعطف عليه، فهذه هي المرة الأولى التي يواجه فيها رجال البوليس.

– أنا شخصياً لا أهتم برجال البوليس، بل إنني أجد بعض المتعة في تتبع أعمالهم. وقد طلبت إلى المفتش "**جرانج**" ألا يتردد في طلب المساعدة مني، إنه يبدو إنساناً مرتبكاً، ولكنه يؤدي عمله خير أداء.

وصمتت برهة، ثم استطردت:

– إن رجال البوليس يهتمون دائماً بالقرائن. فإذا عدنا إلى الماضي، لرأينا أنه ربما كان لـ "**جون كريستو**" ممرضة حسناء وأن لهذه الممرضة ضلعاً في مصرعه! إنني أعجب كيف واجهت "**جيردا**" المسكينة ظروفها الجديدة. لقد كانت من النوع المتفاني في الإخلاص، تصدق كل ما يقوله لها زوجها، والواقع أن هذا هو

الاتجاه الصحيح للمرء إذا كان ناقص الذكاء . . .

وفجأة فتحت السيدة "**أنجكاتيل**" باب غرفة المكتب، وأشارت إلى "**بوارو**" بالدخول وهي تقول:

– ها هو ذا السيد "**بوارو**" .

وكان المفتش "**جرانج**" جالسًا إلى المكتب يستجوب "**جدجيون**"، وأحد الشبان يسجل أقواله. ونهض "**جدجيون**" في احترام. فقال "**بوارو**" بسرعة:

– إنني آسف أيها السادة، فلم يكن في ذهني حين أدخلتني السيدة "**أنجكاتيل**" إلى هنا أنني سأجدكم.

فقال المفتش:

– لا بأس يا سيد "**بوارو**"، تفضل بالجلوس.

وتحول إلى "**جدجيون**" الذي جلس بعد إلحاح، ونظر إلى المفتش بوجه لا تعبير فيه. وعاد المفتش يسأله:

– هل هذا كل ما تتذكره؟

– نعم يا سيدي.

– ومن هي صاحبة الفراء الذي وجدناه في الاستراحة؟

– تعني معطف الفراء؟ لقد لاحظت وجوده أمس يا سيدي حينما أحضرت كئوس الكوكتيل إلى الاستراحة، ولكنه ليس لأحد من أفراد المنزل.

– لمن هو إذن؟

– ربما كان ملكًا للآنسة "**كراي**" يا سيدي، الآنسة "**فيرونيكا كراي**" ممثلة السينما، فقد كانت ترتدي شيئًا مثله.

– متى؟

– حينما زارت هذا المكان في الليلة السابقة للحادث.

– هل كانت من الضيوف؟

– كلا، إنها تقطن ڤيللا "**دوفكوت**"، وقد حضرت عقب العشاء، لتحصل على بعض الكبريت.

وسأل "**بوارو**":

– هل أعطيتموها ست علب من الكبريت؟

– نعم يا سيدي، فقد طلبت السيدة "**أنجكاتيل**" أن تعطيها ست علب.

– وهي العلب التي تركتها في الاستراحة؟

– نعم يا سيدي، فقد لاحظت أنها تركتها هناك، حين دخلت الاستراحة في صباح اليوم التالي.

وحين غادر "**جدجيون**" الحجرة، قال "**بوارو**":

– إن هذا الرجل سريع الملاحظة، لا يفوته شيء.

– إنه شيطان.. ولكننا نعرف كيف نستخرج الحقائق من صغار الخدم، أما كبارهم فإنهم قلما يتكلمون. وعلى فكرة، لقد أرسلت أحد رجالي إلى شارع "**هارلي**"، وسأزور المكان بعد ظهر اليوم بنفسي. ولا شك في أننا سنحصل على بعض المعلومات هناك. لقد قالت السيدة "**أنجكاتيل**" إنه كان هناك نوع من النزاع بخصوص ممرضة تعمل لدى الطبيب، ولكنها كانت غامضة.

– نعم.. لقد كانت غامضة!

وفكر "**بوارو**": لقد رسمت السيدة "**أنجكاتيل**" صورة رائعة لما يمكن أن يحدث في عيادة طبيب مشهور: مرضى جميلات، ممرضة جميلة... ومجال للغيرة لا شك فيه، انتهى بقتله. نعم لقد اخترعت الصورة المغرية عن عمد، لإبعاد الأنظار عن قصر "**هولو**" حيث تقدمت "**هنريتا سافرنيك**" من "**جيردا**" المرتبكة، وأخذت منها المسدس وألقته في الماء... لإبعاد الأنظار عن الحقيقة الغريبة، وهي أن الميت كان يقول: ""**هنريتا**".." .

وتنبه "**بوارو**" إلى أن المفتش كان يتحدث:

– ما رأيك في الآنسة "**كراي**"، لقد انتحلت عذراً لتقتحم على آل "**المكاتيل**" قصرهم.

– ربما كانت لديها بعض الأسباب، ربما أرادت التعرف إليهم، فهم قوم أثرياء لهم مركزهم.

– نعم، ربما... ومع ذلك فإنني لن أترك أي شيء لمجرد التخمينات. هل تعلم أن السيد "**هنري**" قد تعرف المسدس؟؟ إنه من مجموعة السلاح التي يملكها.

كان كل ما على السيدة "**كريستو**" هو أن تذهب إلى غرفة المكتب لتأخذ المسدس... مسألة بسيطة.

– نعم، إنها تبدو بهذه البساطة.

نعم أن امرأة أضنتها الغيرة قد تسللت هذا السبيل، ولكن.. أليس عليها في هذه الحالة أن تحمي نفسها من شبهة القتل؟ أم أنها كانت مدفوعة بعاطفة عمياء لا تدع للعقل مجالاً في تصرفاتها؟

وتذكر نظرته الجوفاء، وقال لنفسه: "حقًا إنني لا أدري لماذا، ولكني سوف أعلم!".

خلعت "**چيردا كريستو**" الثوب الأسود، وتركته يسقط على أحد المقاعد، وهي تقول:

– إنني لا أدري، لم أعد أهتم بشيء.

فقالت السيدة "**باترسون**" في عطف:

– إنني أدرك كل شيء يا عزيزتي.

– لقد كانت السيدة "**باترسون**" – أو "**إيلزي**" كما يطلقون عليها – تعرف كيف تتصرف في الملمات، وها هي الآن تمارس مقدرتها في شقيقتها "**چيردا**".

كانت "**إيلزي**" طويلة القامة جمة النشاط، وكانت تنظر إلى "**چيردا**" في

قلق ممزوج بالشفقة البالغة، وتقول لنفسها:

"لقد فقدت "**چيردا**" المسكينة زوجها، وهي حتى الآن لم تر الكارثة على حقيقتها. لقد كانت "**چيردا**" دائمًا بطيئة، فما بالك إذا اقترن البطء بالصدمة؟!"

كانت "**چيردا**" دائمًا في حاجة إلى من يفكر لها في الأمور ووقفت "**چيردا**" جامدة حائرة، وهي تقول:

– لست أدري إن كان "**چون**" يحب أن تلبس ملابس الحداد عليه، لقد سمعته مرة يقول إنه يكره الحداد.

آه لو كان "**چون**" حاضراً، إذن لدلها على التصرف الصحيح، ولكن "**چون**" ذهب إلى الأبد، إنها لن تقع في حيرة بعد الآن بشأن اللحم البارد. ولن تسمع صوته وهو يغلق باب حجرة الفحص في عنف، ولن تراه بعد الآن يصعد إلى مسكنه قفزاً... لقد كان مثالاً للحيوية...

ودقت "**بريل كولينز**" باب حجرة النوم، وقالت:

– لقد حضر المفتش "**جرانج**"...

وشهقت "**چيردا**"، بينما استطردت "**بريل**" تقول بسرعة:

– لقد قال إنه لن يزعجك، إنه يريد معلومات عن الدكتور "**كريستو**"، وسأقوم أنا بالإجابة نيابة عنك.

– شكرًا لك.

وانسحبت "**بريل**" فتنهدت "**چيردا**" وقالت:

– إن "**بريل**" فتاة مدهشة، إنها تعرف كيف تتصرف.

وفي حجرة الجلوس كان المفتش "**جرانج**" يواجه "**بريل**" بنظراتها الثاقبة ونبراتها الهادئة. وحين لاحظ أنها ليست جميلة، أدرك على الفور أنه لن يجد قصة غرام بين الطبيب وسكرتيرته. وكانت إجابات "**بريل**" في غاية الوضوح،

فهي تجيب على الفور، وتبدو عالمة تمام العلم بأحوال الطبيب وعاداته، وغير المفتش موضوع الحديث، وحاول أن يعرف شيئًا عن علاقة الطبيب الراحل بزوجته، فقالت "**بريل**" إنها كانت علاقات طيبة، فعاد الطبيب يسأل:

ألم تحدث بينهما خلافات. كتلك التي تحدث بين الأزواج؟!

– إنني لا أتذكر خلافًا واحدًا، لقد كانت السيدة "**كريستو**" مثالاً للزوجة المطيعة لزوجها، لقد كانت تعشقه.

ولاحظ المفتش نبرة الاحتقار في صوتها.. وسأل:

– ألم تدافع عن رأيها. مرة واحدة؟

– كلا.. كانت تأخذ آراء الدكتور "**كريستو**" قضية مسلمة.

– كان ديكتاتوراً إذن؟

– كلا.. إنه لم يكن ديكتاتوراً.. ولكنه كان رجلاً أنانيًا.. لقد كان يعلم أن زوجته سوف توافق على جميع آرائه.

– ألم تكن هناك مشاكل خاصة بالمرضى... مشاكل نسائية؟

– لست أعرف مشكلة من هذا النوع، لقد كان الدكتور "**كريستو**" طبيبًا ماهراً، وكانت له طريقته الخاصة في معاملة النساء.

– ألم تكن له علاقة بإحدى النساء؟

– لا علم لي بذلك.

– وماذا عن "**هنريتا سافرنيك**"؟

لقد كانت صديقة للعائلة.

– ألم يحدث شجار بين الزوجين بشأنها؟

– نعم.

– وماذا عن الآنسة "**فيرونيكا كراي**"؟

– "**فيرونيكا كراي**"؟

– ألم تكن صديقة للدكتور "**كريستو**"؟

– إنني لم أسمع اسمها من قبل، ولكن يبدو أنه...

– إنها ممثلة السينما.

– آه طبعًا ولكني لا أعلم أن الدكتور "**كريستو**" كان يعرفها.

ولم يخرج المفتش "**جرانج**" من تحقيقه بنتيجة. لقد كان يأمل أن يجد الدافع على القتل، فإن عليه أن يجد الدافع قبل أن يقدم القضية إلى المحكمة. لقد كان واثقًا بأن "**جيردا كريستو**" قد أطلقت الرصاص على زوجها. وكان موقنًا بأن الدافع هو الغيرة، ولكنه لم يجد للغيرة مكانًا في حياة الزوجين. وكان مساعده السرجنت "**كومبس**" يحاول أن يستخرج الحقائق من الخدم، ولكنهم جميعًا رووا له نفس القصة.

كانت السيدة "**كريستو**" تعشق زوجها وتقدسه. وأيقن المفتش أنه إذا كان ثمة دافع، فعليه أن يبحث عن هذا الدافع في قصر "**هولو**".

ودق جرس التليفون، فالتقطت الآنسة "**كولينز**" السماعة، ولم تلبث أن قدمتها إلى المفتش قائلة:

– إن المكالمة لك يا سيدي المفتش.

– آلو، نعم أنا المفتش "**جرانج**"، ماذا؟

ولاحظت الآنسة "**كولينز**" أنه نطق الكلمة الأخيرة بصوت غير عادي، فنظرت إلى قسمات وجهه لعلها تعرف جلية الخبر، ولكنه كان وجهًا جامداً لا ينم عن شيء.. واستطرد المفتش:

– نعم، فهمت.. هل أنت متأكد؟ إذن سأكون لديك، لقد فرغت من مهمتي هنا.

وحين انتهى من حديثه التليفوني جلس برهة جامداً، وعندما تكلم كان صوته غريبًا، قال:

– أليس لك رأي خاص يا آنسة "كولينز" فيما حدث؟

– تعني...

– أعني هل لديك فكرة عمن قتل الدكتور "كريستو"؟

– ليست لدي أية فكرة على الإطلاق يا سيدي المفتش.

فقال المفتش ببطء:

– حينما اكتشفت الجثة، كانت السيدة "كريستو" واقفة بجوارها تحمل مسدسًا...

ولم يكمل جملته عمدًا، ولكن الآنسة "كولينز" أجابت في ثبات:

– إذا كنت تعتقد أن السيدة "كريستو" قتلت زوجها، فأنا متأكدة أنك لست على صواب، فالسيدة "كريستو" امرأة لا تعرف العنف، وكانت مطيعة خاضعة لزوجها، فمن الخطأ أن يظن المرء لحظة أنها يمكن أن تقتل من كانت تعشقه وتتفانى في خدمته... مهما كانت القرائن والملابسات تبدو ضدها.

– إذا لم تكن هي التي قتلته، فمن قتله؟

– لست أدري؟

*****

حملق السير "هنري" إلى المفتش "جرانج"، وقال في دهشة:

– إني لا أفهم ماذا تعني يا سيدي المفتش؟

– إن ما أعنيه في غاية البساطة يا سير "هنري"، إنني أطلب إليك أن تفحص مرة ثانية مجموعة الأسلحة التي تملكها، ولا شك في أنك تحتفظ بسجل خاص بها.

– طبعًا، ولكني قررت من قبل، أن المسدس الذي وجد مع الجثة، كان من مجموعتي.

– إن الأمر ليس بهذه البساطة، فإن الدكتور "كريستو" لم يقتل بالمسدس الذي تعرفته هذا الصباح.

ورفع السير "هنري" حاجبيه وقال:

– عجبًا... ولكن هل لديك من الأسباب ما يدعوك إلى الاعتقاد بأن الرصاصة القاتلة جاءت من أحد الأسلحة الموجودة في حوزتي؟

– ليس هناك سبب، ولكني يجب أن أتأكد.

– إنك على حق..

وفتح أحد أدراج مكتبه، وأخرج مجلدًا أنيقًا وقلب صفحاته وهو يقول:

– إن الأمر سيستغرق بعض الوقت..

واسترعت لهجته انتباه المفتش، فألقى عليه نظرة فاحصة، فإذا به قد تقوست كتفاه، وبدا رجلاً عجوزًا متعبًا. وقطب المفتش حاجبيه، وقال لنفسه: "إنني لا أفهم هؤلاء الناس، ولن أفهمهم أبدًا". وسمع حركة صادرة عن السير "هنري"، فاستدار إليه وقال:

– نعم يا سيدي؟

– هناك مسدس من عيار 38 مفقود، لقد كان في جراب بني، وكان موضوعًا في هذا الدرج.

– ومتى يا سيدي رأيت السلاح في مكانه لآخر مرة؟

– ليس من السهل أن يعرف الإنسان يا سيدي المفتش. إنني فتحت هذا الدرج منذ أسبوع، وأظن أن المسدس كان موجودًا.

– شكرًا لك يا سيدي، يجب إذن أن أستكمل تحرياتي.

وترك المفتش الغرفة، وجلس "هنري" برهة جامدًا، ثم نهض وخرج إلى الشرفة، فوجد زوجته تحمل سلة أزهار وترتدي قفازًا، وكانت تشذب بعض الأزهار، فلوحت له بيدها، وقالت في انشراح:

– ماذا كان المفتش يريد؟ أرجو ألا يزعج الخدم مرة أخرى، إنهم لا يهتمون بالبوليس كما نفعل.

– وهل نهتم نحن أيضًا بالبوليس؟

وأثارت لهجته انتباهها، فابتسمت له وقالت:

– إنك تبدو متعبًا يا "**هنري**"، يجب ألا تدع هذا الحادث يزعجك إلى هذا الحد.

فقال "**هنري**":

– يخيل إليّ أن الأمر سيكون أكثر إزعاجًا مما تتصور جميعًا.

- 10 -

أطل "**بوارو**" من نافذة الڤيلا فرأى "**هنريتا سافرنيك**" تعبر الحديقة، في طريقها إلى الباب الأمامي. وكانت ترتدي نفس التايير الأخضر الذي كانت ترتديه يوم الفاجعة، وكان معها كلب صغير. وأسرع "**بوارو**" يستقبلها بالباب، وبعد أن حيته قالت وهي تبتسم:

– هل تسمح لي بمشاهدة منزلك؟ إنني مغرمة بمشاهدة بيوت الآخرين.

– مرحبًا... تفضلي بالدخول!

وقادها "**بوارو**" إلى غرفة الجلوس، فألقت نظرة شاملة على الحجرة، ثم قالت:

– كل شيء هنا بديع ومرتب، لا شك في أنك ستكره الاستديو الذي أعمل به إذا رأيته.

– ولماذا؟

– إنك ستجد كل شيء مغطى بطبقة من الصلصال، فضلاً عن عدم ترتيبه.

– ولكنني أقدر هذا، فأنت فنانة.

– ألست أنت أيضًا فنانًا يا سيد "**بوارو**"؟

– إنها وجهة نظر، لقد رأيت جرائم يمكن أن أسميها فنية. أمثلة رائعة لمدى سعة التفكير، ولكن حل الجرائم لا يحتاج إلى القوى الإبداعية في الإنسان، بقدر ما يحتاج إلى رغبة قوية في الوصول إلى الحقيقة.

– رغبة قوية في الوصول إلى الحقيقة! إنني أفهم ما تعني، ولكن هل تكتفي بالحقيقة؟

– ماذا تعنين؟

– إنني أفهم رغبتك في معرفة الحقيقة، ولكن هل تكفي الحقيقة؟ أعني هل تدفعك الحقيقة إلى نشاط من نوع معين؟

– أنت تقصدين أنه إذا فرض أن عرفت الحقائق الخاصة بمصرع الدكتور "**كريستو**" مثلاً، فهل أحتفظ بالمعلومات لنفسي؟ وهل تعلمين الحقائق الخاصة بمصرعه؟

فهزت "**هنريتا**" كتفيها وقالت:

– الحقيقة الظاهرية تقول إنها "**جيردا**"، فنحن دائمًا نميل إلى اتهام الزوجة بقتل زوجها.

– هل توافقين على هذا الاتهام؟

– إنني أحب أن تنظر إلى المسألة نظرة أعمق.

وسألها "**بوارو**" في هدوء:

– لماذا تكرمت عليّ بالزيارة يا آنسة "**سافرنيك**"؟

– الواقع أنني لا أبحث عن الحقيقة مثلك، وقد رأيت أن نزهة مع هذا الكلب من التقاليد الإنجليزية الجميلة، ولكن آل "**أنجكاتيل**" لا يملكون كلبًا، وربما لاحظت ذلك بنفسك.

– نعم... لقد لاحظت ذلك.

– وهكذا فقد اقترضت كلب البستاني.. إنني في الحقيقة لا انزع إلى الصدق كثيراً!

وعادت الابتسامة الوضاءة إلى وجهها، وكان رأي "بوارو" أنها ابتسامة لا تقاوم، فقال بهدوء:

– إن لك شخصية قوية.

– ما الذي جعلك تعتقد هذا؟

– إنها الحقيقة.

وهزها استنتاجه الأخير، فجلست برهة جامدة، تحدق إلى البساط تحت قدميها، ثم رفعت بصرها وسددته إليه، وقالت بثبات:

– ألا تحب أن تعرف لماذا حضرت؟

– ربما وجدت صعوبة في التعبير...

– نعم هذا صحيح. إن التحقيق سيجرى غداً، وعلى المرء أن يقرر إلى أي مدى...

وتوقفت عن الحديث، ثم نهضت وتوجهت إلى المدفأة، وبدأت تعيد ترتيب التحف الموجودة على رف المدفأة، وتقهقرت خطوتين لتلقي نظرة على الترتيب الجديد... ثم أعادت كل شيء إلى مكانه بسرعة، ثم عادت إلى مقعدها، وقالت:

– إذا كان على المرء أن يدلي بشيء، فلا مناص من أن يدلي به، ويبدو لي أنك الشخص الذي يمكن أن يثق به المرء... هل ترى أنه من الضروري أن يعلم البوليس أنني كنت عشيقة "چون كريستو"؟

وكانت تدلي بهذه الحقيقة في نبرات عادية، ولم تكن تنظر إليه، وإنما إلى الفراغ الكائن فوق رأسه. وقد رد عليها "بوارو" بنفس النبرات الهادئة:

– إذن فقد كنتما متحابين؟

– إذا كنت تفضل هذا التعبير.

ثم انتقلت لتجلس بجانبه، وقالت:

– من الأفضل أن يسمي الإنسان الأشياء باسمائها.

– وإلى متى استمرت هذه العلاقة؟

– لمدة ستة أشهر.

– إن البوليس لن يجد صعوبة في الوصول إلى الحقيقة.

– نعم، لا شك في أنه سيفعل، وماذا تقترح عليَّ: هل أذهب إلى المفتش "جرانج" وأخبره بالحقيقة؟ وإذا عرف البوليس العلاقة بيني وبين الطبيب القتيل، فهل يذيع أمرها؟

– هذا يتوقف على مدى أهمية هذه العلاقة بالنسبة إلى الحادث، إنك فيما أرى حريصة على سرية هذه العلاقة.

فاومات "هنريتا" برأسها، وحدقت إلى أصابعها برهة، وفجاة رفعت رأسها وقالت:

– لماذا ينزعون إلى زيادة الأمور سوءاً أكثر مما هي سيئة أمام "چيردا"؟ لقد كانت تعشق "چون"، ولكن "چون" قد مات، لقد فقدته، فلماذا نصيبها بجرح جديد؟

– أنت إذن تحرصين على شعورها؟

– أنت تظنني منافقة، أنت تقول: "إذا كنت تهتمين بشعور "چيردا" إلى هذا الحد، فلماذا سمحت لنفسك أن تصبحي عشيقة زوجها". إن الأمر ليس بهذه الصورة.. إنني لم أكن أنوي أن أحطم حياته الزوجية... لقد كنت واحدة ضمن موكب طويل!

إنني أكره أن يتصور الناس "چون" على أنه زير نساء. إن هذا هو السبب في أنني جئت أتحدث إليك، لقد كنت آمل أن أجعلك تفهم أي نوع من الأشخاص

كان "**چون**" . إنني أتصور الآن ما ستحدثه هذه المعلومات من ضجة في الصحف، والواقع أن "**چون**" لم يكن يأبه كثيراً بالنساء، لقد كان اهتمامه مركزاً في عمله، وإذا كان قد قدر لك أن تسأله – في حياته – عن المرأة التي تركت أثراً واضحاً في حياته، لقال لك على الفور إنها السيدة "**كرابتري**" .

فقال "**بوارو**" في دهشة :

– السيدة "**كرابتري**" ؟! من هي؟

– إنها عجوز قبيحة فقيرة، ولكنها كانت تستحوذ على تفكير "**چون**" . إنها مريضة في مستشفى "**سانت كريستوفر**" كانت مصابة بمرض لا علاج له، ولكن "**چون**" كان يبحث له عن علاج. وكان يجري تجاربه على السيدة "**كرابتري**" ... هذا هو العمل الذي كرس حياته من أجله، ولم تكن أعماله في عيادته بشارع "**هارلي**" تهمه في كثير أو قليل... آه لو أمكنني أن أقنعك بوجهة نظري...

ومدت يديها في الهواء بحركة يائسة، ولكن "**بوارو**" كان يرى الحركة جميلة على الرغم من كل شيء! وأخيراً قال:

– يبدو أنك كنت تفهمينه حق الفهم.

– نعم لقد كان "**چون**" يزورني ليتحدث، لا إليّ بل إلى نفسه. لقد كان يحضر يائساً، وبعد حديث طويل يجد المخرج.

وصمتت برهة، كأنما هي تعود بذاكرتها إلى الماضي، فقال "**بوارو**" :

– وهل كانت "**فيرونيكا كراي**" أيضاً صديقة لـ"**چون كريستو**" ؟

– إنه لم يكن قد رآها منذ خمسة عشر عاماً. لقد كانا خطيبين، وكان مدلهاً بحبها، ولكنها كانت أنانية، وكانت تريده أن يترك عمله ليتزوجها، ولكن "**چون**" لم يقبل، وفسخ الخطبة. وكان يرغب في أن يتزوج امرأة على نقيض "**فيرونيكا**"، وهكذا تزوج "**چيردا**" . وكان هذا عملاً يضمن له السلامة،

ولكن بمضي الوقت سئمها، وبحث عن نساء أخريات، ولكنها كانت علاقات عابرة، ولم تعلم عنها "**چيردا**" شيئاً. ولكن على الرغم من كل هذا أعتقد أن "**چون**" كان يقاسي شيئاً يختص بـ"**فيرونيكا**" ، فلم يكن قد تغلب قط على حبها. وفجأة تقابل معها يوم السبت الماضي.

– وبعد برهة صمت، قال "**بوارو**" :

– وخرج معها تلك الليلة ليرى بيتها، وعاد إلى قصر "**هولو**" في الثالثة صباحاً.

– كيف علمت؟

– هذا سر المهنة، ولكنك أيضاً كنت تعلمين.

– نعم.

– كيف علمت؟

– كنت أطل من نافذة غرفة نومي، ورأيته يعود إلى القصر.

ونهضت من مقعدها، واتجهت إلى الباب، فقال "**بوارو**" :

– سأرافقك في طريق العودة.

واخترقا الحديقة، ثم اتخذا طريق الغابة، وفي أعلى التل وجدا مقعداً فجلسا جنباً إلى جنب وكانت الغابة خلفهما، وأمامهما مباشرة ممر متعرج يهبط إلى حيث بدت مياه حمام السباحة الزرقاء من وراء الأشجار. وكان "**بوارو**" يراقب "**هنريتا**" في صمت. كان وجهها هادئاً، لقد مرت الأزمة... وأخيراً قال:

– هل كانت خالتك تميل إلى "**چون**" ؟

– إن "**لوسي**" ابنة عمي وليست خالتي، نعم لقد كانت تميل إليه.

– وابن عمك "**إدوارد**" هل كان يميل إليه؟

– إنه لم يعرفه حق المعرفة.

– وابن عمك الآخر "**داڤيد**" ، هل كان يميل إليه؟

– إن "**دافيد**" يكرهنا جميعاً، إنه يقضي وقته بين جدران المكتبة يقرأ دائرة المعارف البريطانية.

- 11 -

غادرت "**هنريتا**" المكان غاضبة، وبقي "**بوارو**" في مكانه برهة ثم رأى المفتش "**جرانج**" يسير في اتجاه حمام السباحة، ثم يعرج على الاستراحة، ويتخذ الطريق الذي يوصل إلى الـ"**ريست هافن**" وفيللا "**دوفكوت**" فعاد "**بوارو**" أدراجه إلى "**ريست هافن**" فلربما كان المفتش يقصده. ولكنه حينما وصل إلى هناك لم يجد المفتش، فرجح أنه ذهب إلى فيللا "**دوفكوت**" ليرى "**فيرونيكا كراي**".

وفجأة اتجه ذهنه إلى "**فيرونيكا كراي**"، وزاد فضوله وجود معطف الفراء وعلب الكبريت في الاستراحة، واقتحامها لسهرة آل "**أنجكاتيل**" على تلك الطريقة المسرحية... وعلاقاتها هي و"**هنريتا**" بالقتيل.

وأدهش "**بوارو**" الصراع الواضح بين العواطف والشخصيات في هذه القضية الغامضة. فهل أطلقت "**چيردا كريستو**" الرصاص على زوجها، أم أن الأمر ليس بهذه السهولة؟

وعاد بذاكرته إلى حديثه مع "**هنريتا**"، فلم يتمالك أن أيقن أن الأمر ليس من السهولة في شيء.

لقد ظنت "**هنريتا**" أنه يتهمها بالقتل، ولكنه في ذهنه لم يكن قد وصل إلى هذا الحد، وإنما كان على يقين من أنها تعرف شيئاً، أو تخفي شيئاً، فما هو؟

*****

لم تكن "**فيرونيكا كراي**" كما توقع المفتش "**جرانج**" أن يجدها. لقد كان ينتظر أن يرى غانية تجيد فن التمثيل، حتى في حياتها الخاصة... نعم لقد

كانت تمثل، ولكنه لم يكن الدور الذي ينتظره. إنها لم تحاول أن تبرز مفاتنها كامرأة.

قالت "**فيرونيكا**" ببساطة:

– سأبذل جهدي يا سيدي المفتش لأعاونكم.

– شكراً لك، والآن، هل زرت قصر "**هولو**" في مساء يوم السبت؟

– نعم، فلم يكن لدي ثقاب.

– ومن ثم سرت هذه المسافة الطويلة إلى قصر "**هولو**"؟ لماذا لم تلجئي إلى جارك السيد "**بوارو**"؟

فابتسمت ابتسامة ساحرة تصلح للكاميرا، وقالت:

– لم أكن أعرف شخصية جاري، وإلا لكنت حرية أن ألجأ إليه. لقد كنت أظنه رجلا أجنبياً، ومن ثم خشيت أن أزعجه.

– لقد حصلت على الثقاب، وتعرفت هناك على صديق قديم هو الدكتور "**چون كريستو**"، أليس كذلك؟

– نعم، لم أكن قد رأيت "**چون**" المسكين منذ خمسة عشر عاماً.

– هل سررت لرؤيته؟

– جداً، ألا ترى أن عثور الإنسان على صديق قديم يسره؟

– نعم...

– وقد رافقني "**چون**" في طريق العودة إلى الفيللا، وربما أردت أن تلم بطرف من الحديث لفائدة التحقيق، وقد فكرت في هذا، ولكني لم أجد فيه ما يمكن أن يفيد.

– عم دار الحديث يا آنسة "**كراي**"؟

– تحدثنا عن الأيام الماضية. والواقع أن "**چون**" تغير قليلاً، فقد كبر وأصبح طبيباً مشهوراً، ولم يتحدث عن حياته الخاصة، ولكني استنتجت أن حياته

الزوجية في غاية السعادة، وأن زوجته من طراز النساء الغيورات المعدومات الشخصية، اللاتي يتشاجرن مع أزواجهن بسبب المرضى الجميلات.

– كلا.. إنها لا تبدو كذلك.

– تعني أنها تظهر غير ما تبطن؟ إن هذا لأخطر وأجل شأنًا!

– إذن فأنت تعتقدين أنها هي التي أطلقت الرصاص على زوجها؟

– إنني لم أقل هذا فليس على المرء أن يسبق حكم القضاء.. إنني آسفة يا سيدي المفتش، ولكن خادمتي قالت إن زوجته وجدت واقفة بجوار جثته والمسدس لا يزال في يدها، وأنت تعرف كيف تنتشر الأخبار في الريف بسهولة عن طريق الخدم.

– إن الخدم يفيدون أحيانًا يا آنسة "**كراي**".

– نعم، وأعتقد أنكم تحصلون على معلومات كثيرة عن طريقهم.

– المسألة أولاً مسألة الدافع...

– وفي هذه الحالة تكون الزوجة هي المتهم الأول... ولكن هناك دائمًا ما تسمونه "المرأة الأخرى"، وأنتم تعتقدون دائمًا أن لديها أيضًا الدافع.

– هل تعتقدين أنه كان في حياة الدكتور "**كريستو**" امرأة أخرى؟

– لقد فهمت من حديثه أنه على علاقة بتلك الممثلة، ولكنني أعتقد أنكم على علم بهذا.

فأومأ المفتش برأسه، ولم تفته لمحة سريعة في عينيها النجلاوين تدل على التشفي... والارتياح ولكنه تظاهر بأنه لم ير شيئًا. واستأنف حديثه قائلاً:

– متى غادرك الدكتور "**كريستو**" في تلك الليلة؟

– أتعلم أنني لا أتذكر! لابد أنه عاد في وقت متأخر.

– هل كان هنا؟

– نعم، فقد قدمت له قدحًا من الشراب.

– آه، كنت أظن أن اللقاء تم في الاستراحة المجاورة لحمام السباحة.

ولمح رجفة سريعة في جفنيها، ولكنها أسرعت تقول:

– إنك مخبر بوليس ماهر، نعم... لقد جلسنا هناك بعض الوقت.. كيف عرفت؟

– لقد نسيت فراءك هناك يا آنسة "**كراي**"... وكذلك الثقاب!

– آه نعم... طبعًا طبعًا!

– وقد عاد الدكتور "**كريستو**" من عندك في الثالثة بعد منتصف الليل.

– هل كان الوقت متأخرًا إلى هذا الحد؟

– نعم يا آنسة "**كراي**".

– الواقع أننا تحدثنا طويلاً، فلم نتقابل منذ خمسة عشر عامًا.

– هل أنت واثقة بهذه المدة؟ إنني أعتقد أنك رأيته مرارًا قبل ذلك.

– ماذا تعني؟

– حسنًا، إن هذه المذكرة مثلاً...

وأخرج قصاصة من جيبه، وتنحنح، ثم قرأ:

"أرجو أن تزورني هذا الصباح، فلابد من أن أراك – "**فيرونيكا**"".

ولقد زارك الدكتور "**كريستو**" في صباح اليوم التالي تلبية لهذه الدعوة وتشاجرتما... فهل يمكن أن تروي لي شيئًا عن هذه المشاجرة؟

لقد ألقى المفتش القفاز. ولاحظ بريق الغضب في عينيها، وضيق الخلق تعبر عنه الشفتان المزمومتان، والإجابة الغاضبة السريعة:

– إننا لم نتشاجر.

– بل تشاجرتما يا آنسة "**كراي**"، وكانت كلماتك الأخيرة له هي: "أعتقد أنني أكرهك كما لم أكره أي إنسان من قبل".

وصمتت، وبدا عليها أنها تفكر بسرعة. ولو كانت هناك امرأة أخرى غير

"**فيرونيكا**" لاندفعت تكذب وتبرر، ولكن "**فيرونيكا**" كانت ذكية... لقد هزت كتفيها وقالت ببساطة:

– هذا مزيد من قصص الخدم، وخادمتي خصبة الخيال... لكل امرئ طريقته في التعبير عن غضبه يا سيدي المفتش، ولكنني لم أكن أعني شيئًا خاصًا حين قلت له هذه الجملة، وأؤكد لك أنني لم أكن قد رأيته منذ خمسة عشر عامًا، ويمكنك أن تثق بهذه الحقيقة بنفسك.

وعادت هادئة، واثقة بنفسها. ولم يحاول "**جرانج**" أن يناقشها، بل نهض واقفًا وقال:

– شكرًا لك يا آنسة "**كراي**".

وغادر فيللا "**دوفكوت**"... واتجه إلى الـ"**ريست هافن**".

*****

حدق "**بوارو**" إلى المفتش في دهشة، ثم قال:

– تقول إن المسدس الذي كان في يد "**جيردا**" والذي اسقطته "**هنريتا**" في الماء، لم يكن المسدس الذي ارتكبت به الجريمة؟ هذا عجيب!

– نعم عجيب، ولا أجد له تفسيرًا.

– ولكن يجب أن نفسره.

– الواقع أننا لن نتقدم في هذه القضية، إلا إذا عثرنا على سلاح الجريمة، وهو من مجموعة السير "**هنري**"، هذا أمر لا شك فيه، فإن إحدى قطع السلاح مفقودة، ومعنى هذا أن القضية ذات علاقة بقصر "**هولو**". لقد كانت تبدو قضية بسيطة، ولكن...

وراح المفتش يذرع الغرفة، وفجأة وقف أمام "**بوارو**" وقال:

– لقد حضرت اليوم لزيارتك لسببين: أولاً – لأنك رجل معروف لنا

بخبرتك وأعمالك العظيمة في هذا الميدان، وثانيًا – لأنك كنت شاهد عيان للجريمة... لقد شاهدتها ترتكب.

– نعم لقد شاهدتها تُرتكب، ولكن العين يا سيدي المفتش، شاهد لا يعتمد عليه!

– ماذا تعني؟

– أعني أن العين ترى ما يراد لها أن تراه.

– تعني أن الأمر كان مدبرًا؟

– لقد شككت في الأمر، فقد كان يبدو كأنه رواية تمثل على مسرح، وما رأيته كان في غاية الوضوح: رأيت رجلا أطلق عليه الرصاص، والمرأة التي أطلقت عليه الرصاص لا تزال تحمل السلاح الذي استخدم في الجريمة. هذا ما رأيته، ولكننا نعلم الآن – لسبب واحد – أن هذه الصورة ليست صحيحة، وهذا السبب هو أن السلاح الذي كان في يد المرأة لم يكن هو السلاح الذي استعمل في الجريمة.

– تعني أنه ربما كانت بعض تفاصيل الصورة خطأ أيضًا؟

– لقد شهد الجريمة ثلاثة أشخاص آخرين، ثلاثة أشخاص يبدو أنهم وصلوا في نفس اللحظة إلى مسرح الجريمة، وكل واحد من هؤلاء الثلاثة جاء من طريق مختلف، فأي واحد من هؤلاء الثلاثة كان يمكنه أن يسبق "**جيردا**" إلى حمام السباحة، ومن ثم يقتل "**جون كريستو**"، ثم يعود أدراجه، ليكون على مسرح الجريمة مع الاثنين الباقيين؟

– نعم، هذا محتمل.

– وهناك احتمال آخر، وهو أن أحدهم ربما اتخذ طريقه إلى حمام السباحة، ثم ارتكب جريمته، وعاد أدراجه دون أن يراه أحد.

– هذ صحيح أيضًا، وهناك شخصان آخران – غير "**جيردا**" – يمكن أن

يكونا محل اتهام؛ لوجود نفس الدافع وهو الغيرة، فهناك امرأتان على علاقة بالقتيل. لقد ذهب "**كريستو**" لزيارة "**فيرونيكا كراي**" ذلك الصباح حيث تشاجرا، وقالت له إنها ستجعله يندم على ما فعل وإنها تكرهه كما لم تكره أي إنسان من قبل.

– بديع!

– لقد عادت تواً من "**هوليوود**" حيث يمثلون الجرائم وإطلاق الرصاص على الناس، فلربما كانت عائدة لاسترداد فرائها الذي تركته في الاستراحة في الليلة السابقة، فقابلت "**كريستو**"، وثارت المناقشات من جديد، فأطلقت عليه الرصاص، ثم سمعت وقع أقدام فعادت أدراجها إلى ڤيللا "**دوفكوت**".

وصمت برهة، ثم استطرد:

– ومع ذلك فإن هناك لغز المسدس... إلا إذا كانت قد استعملت مسدسها الخاص، وتركت بجوار الجثة المسدس الذي سرقته من مجموعة السير "**هنري**"، لتلقي الاتهام على الأشخاص الموجودين في قصر "**هولو**"... ولكن هذا الاحتمال يجعل الجريمة مدبرة، وليست عفو المشاجرة. وهناك احتمال اتهام الآنسة "**سافرنيك**" وهنا يمكنك كشاهد عيان أن تساعدنا. لقد نطق الدكتور "**كريستو**" بكلمة "**هنريتا**" قبل وفاته، وقد سمعته وهو ينطق بها، وقد سمعه الجميع.. فهل كان يتهم "**هنريتا**" بإطلاق الرصاص عليه. هل كان يتهمها؟

– لم أكن أعتقد هذا أول الأمر.

– أما الآن؟

– ربما كان الأمر كذلك... وربما لم يكن!

– إنه يعني أحد أمرين: إما اتهام، وإما عاطفة... فهي امرأة يحبها، ومن الطبيعي أن يكون اسمها هو آخر ما ينطق به... فأي هذين الاحتمالين ترجح؟

فتنهد "**بوارو**" وأغمض عينيه، ثم فتحهما، ثم مد يده في يأس، وقال:

– كان يتكلم في عجلة، هذا هو كل ما يمكن أن يوصف به. وإنني على تمام الثقة بأنه كان متمالكاً لكل قواه، كان يتحدث كطبيب يمارس عملية جراحية عاجلة.

– كطبيب؟ نعم... لقد كان موقناً من أنه سيموت، وأراد أن ينجز أمراً، فإذا كانت الآنسة "**سافرنيك**" هي أول من وقعت عليه عيناه، فإن هذا يعني طلباً... ولكن هذا الافتراض لا يقدم ولا يؤخر.

وكان المفتش "**جرانج**" يطل من النافذة، فقال:

– ها هو مساعدي "**كلارك**" مقبل، ويبدو أن لديه معلومات جديدة، لقد كان يحاول أن يحصل على بعض المعلومات من الخدم.

ودخل السرجنت "**كلارك**" الغرفة وهو لاهث الأنفاس، وكان يبدو مسروراً من نفسه، وألقى نظرة على "**بوارو**"، فقال له المفتش:

– هات ما عندك يا ولدي، ولا بأس من وجود السيد "**بوارو**".

– لقد قالت لي خادمة المطبخ إنها رأت "**جدجيون**" – رئيس الخدم – يعبر الصالة بعد ظهر يوم الأحد، وهو يحمل مسدساً في يده.

– "**جدجيون**"؟

– نعم!

ونهض المفتش "**جرانج**"، وقد تملكه سرور من يوشك أن يقبل على مهمة حبيبة، وقال:

– سأتحدث إلى السيد "**جدجيون**"... وفي الحال!

- 12 -

وفي قاعة المكتبة بقصر "**هولو**" واجه المفتش "**جرانج**"، "**جدجيون**" الذي كان يقول في هدوء:

– إنني آسف يا سيدي، كان يجب أن أدلي إليكم بهذه المعلومات لولا أنني نسيت.

وراح ينقل بصره بين المفتش والسير "**هنري**"، ثم استطرد قائلاً:

– حدث هذا في تمام الخامسة والنصف، وكنت أعبر الصالة لأرى هل هناك خطابات للبريد، فرأيت المسدس ملقى على منضدة في الصالة، وظننت أنه من مجموعة السيد، فأخذته وأعدته إلى مكانه.

– أرجو أن تشير إليه...

ونهض "**جدجيون**"، ثم سار إلى الدرج الذي تحفظ فيه الأسلحة، وأشار إلى غدارة صغيرة من طراز موزر في نهاية الصف، وقال:

– هذا هو المسدس يا سيدي.

وكانت غدارة صغيرة، ومن ثم فإنها بالتأكيد ليست السلاح الذي قتل "**جون كريستو**".

وقال "**جرانج**" وهو يراقب تعبيرات وجه "**جدجيون**":

– هذه غدارة وليست مسدساً.

فسعل "**جدجيون**" وقال:

– أحقاً؟ الواقع يا سيدي أنني لا أعرف الكثير عن الأسلحة النارية؛ ولذلك فإنني لم أتحر الدقة في التعبير.

– ولكنك واثق بأن هذا هو المسدس الذي وجدته على المنضدة الموجودة بالصالة؟

– نعم يا سيدي، لا شك في هذا.

وحاول "**جدجيون**" أن يمد يده ليمسك بالمسدس، ولكن "**جرانج**" منعه قائلاً:

– لا تمسَّه، فإنني سأفحص البصمات الموجودة عليه، ولأبحث إذا كان هو

محشوًا بالرصاص.

– إنني لا أظن أنه محشو بالرصاص يا سيدي. فالسيد لا يحتفظ بالأسلحة وهي محشوة. أما بخصوص البصمات، فقد مسحت جيداً قبل وضعه في مكانه، فإذا كان ثمة بصمات فهي بصمات أصابعي أنا.

– ولماذا فعلت ذلك؟

– من الواجب تنظيف الأشياء قبل حفظها يا سيدي.

وفتح الباب، ودخلت السيدة "**أنجكاتيل**"، وقالت للمفتش:

– إنني سعيدة برؤيتك يا سيدي المفتش، ما هذه المسألة الخاصة بالمسدس و"**جدجيون**"؟ إن خادمة المطبخ تبكي، وبقية الخدم يلومونها، ولكني أعتقد أنها على صواب في الإدلاء بما ترى أنه صواب، وأنا شخصيًا أجد مسألة الخطأ والصواب مسألة محيرة، لاسيما إذا كان الصواب مرًا والخطأ محتملاً. فضلاً عن اختلاف وجهات النظر فيما يختص بالخطأ والصواب، فما تراه خطأ قد يراه البعض صوابًا. ماذا كنت تقول لهم عن المسدس يا "**جدجيون**"؟

– كان المسدس على منضدة في الصالة يا سيدتي، ولم أكن أعلم كيف وضع هناك، فأخذته وأعدته إلى مكانه، وهذا ما قلته للسيد المفتش، ولاشك في أنه أدرك الحقيقة.

فهزت السيدة "**أنجكاتيل**" رأسها، وقالت بلطف:

– كان ينبغي ألا تقول هذا يا "**جدجيون**"، وسأتحدث إلى المفتش بنفسي.

وأبدى "**جدجيون**" حركة خفيفة، ولكن السيدة قالت بابتسامة ساحرة:

– إنني أقدر دوافعك يا "**جدجيون**"، إنني أعلم جيداً أنك تعمل جاهداً على تخليصنا من المضايقات، والآن هذا يكفي.

وتردد "**جدجيون**"، ثم أرسل نظرة سريعة إلى السير "**هنري**"، ثم إلى المفتش، ثم انحنى وغادر الغرفة. وجلست السيدة "**أنجكاتيل**" في أحد المقاعد،

وابتسمت للرجلين، ثم قالت:

– أتعلمان أنني أقدر "**جدجيون**" ؟ إنه مخلص جداً.

– هل أفهم من هذا يا سيدتي، أن لديك معلومات أخرى بخصوص هذا الموضوع؟

– بالطبع، فإن "**جدجيون**" لم يجد المسدس على المنضدة على الإطلاق، لقد وجد المسدس حينما أفرغ البيض من السلة.

فحملق المفتش إليها وقال:

– البيض؟

– نعم... البيض الموجود في السلة.

وظننت أن الأمور وضحت تماماً. فقال السير "**هنري**" بلطف:

– يجب أن تزيدي الأمر إيضاحاً يا عزيزتي، فإنني والمفتش لم نفهم ماذا تقصدين.

وقال المفتش:

– أية سلة، وأي بيض يا سيدتي؟

– السلة التي كنت أحملها في حظيرة الدواجن، كان المسدس في داخلها. وقد وضعت البيض فوقه ثم نسيت أمره، حين وجدت "**جون كريستو**" مقتولاً بجوار حمام السباحة، صدمت وكدت أسقط السلة بما فيها، لولا أن "**جدجيون**" أسرع بالتقاطها. وعاد بها إلى القصر. وقد اكتشف وجود المسدس في قاع السلة، فأعاده إلى مكانه في هدوء؛ لوجود رجال البوليس في القصر، الأمر الذي يزعج الخدم دائماً.. إن العواطف شيء والحقيقة شيء آخر، أليس كذلك يا سيدي المفتش؟

وابتسمت مرة أخرى، وأغمض المفتش عينيه، ثم فتحهما وقال:

– هل أخذت المسدس من هنا يا سيدتي؟ أي مسدس أخذت؟

فأشارت السيدة إلى مجموعة الأسلحة وقالت:

– إنه الثاني من اليسار... الموزر عيار 25 مليمتراً!

وأذهله حديث السيدة ومعرفتها الدقيقة لقطع السلاح، لقد كان يعتبرها سيدة خيالية تعيش على هامش الأحداث وسألها:

– تقولين إنك أخذت المسدس، ووضعته في قاع السلة، فلماذا؟

– لقد كنت أتوقع أن تسألني هذا السؤال، والواقع أنه يجب أن يكون هناك سبب، أليس كذلك يا "**هنري**" ؟

– أعتقد أنه يجب أن يكون هناك سبب يا عزيزتي.

– إن الإنسان يفعل أشياء أحياناً، ثم ينسى لماذا فعلها، ولكني يا سيدي المفتش أعتقد أنه كان هناك سبب... ربما كانت فكرة طرأت على ذهني هي التي دفعتني إلى وضع المسدس في سلة البيض. فماذا تظن هذه الفكرة؟

فحملق إليها "**جرانج**" في فضول.. إنه لم يقابل مثل السيدة "**أنجكاتيل**" من قبل، وهو أيضاً لا يدري كيف يتصرف. وأخيراً قال السير "**هنري**" :

– إن زوجتي كثيرة النسيان يا سيدي المفتش.

فقال المفتش في جفاء:

– هذا واضح يا سيدي.

فسألته السيدة:

– لماذا تظن أنني أخذت المسدس؟

– لست أدري يا سيدتي.

– لقد دخلت هذه الحجرة، وكنت أتحدث إلى الخادم عن أغطية الحشيات، ثم عبرت الحجرة إلى المدفأة، وكنت أفكر في ترتيب لعبة البوكر في المساء...

وحملق المفتش، وقد شعر بأن رأسه قد بدأ يدور، واستطردت السيدة:

– وإني لأذكر أنني أخذت المسدس، إنه سلاح جميل صغير كنت دائماً

أحبه، ثم وضعته في سلة البيض، وذهبت إلى حظيرة الدواجن، ولكني كنت في الواقع مشغولة الذهن جداً.

وتحدث المفتش في خشونة فقال:

– وهل حشوت المسدس؟

كان يرجو أن يزعجها، أو يخيفها قليلاً، ولكن السيدة رددت سؤاله في يأس:

– ترى هل حشوته؟ إنني لا أذكر، ولكن لابد أنني فعلت، أليس كذلك يا سيدي المفتش؟ فما جدوى السلاح إذا لم يكن محشواً بالرصاص؟ وددت لو كنت أتذكر السبب في كل ذلك.

فقال **"هنري"**:

– يا عزيزتي **"لوسي"** إن ما يدور في رأسك كان دائماً مصدر متاعب للجميع في هذا القصر.

فابتسمت له، وقالت:

– إنني أحاول أن أتذكر يا عزيزي **"هنري"**. إن الإنسان يأتي أعمالاً غريبة أحياناً. لقد أمسكت سماعة التليفون ذات صباح، ثم وجدت نفسي أنظر إليها في عجب، فلم أكن أعلم لماذا أمسكتها!

فقال المفتش ببرود:

– ربما أردت الاتصال بشخص ما تليفونياً؟

– من الغريب أنني لم أكن أريد ذلك.

وألقت على الرجلين نظرة انتصار... فقال المفتش:

– حسناً... إن بعض الناس يحدث لهم ذلك.

ولكنه لم يصدق الحكاية، وكان يعتقد أن المسألة كلها نسيج من الأكاذيب.

قال لنفسه:

لنفرض أنها هي التي أطلقت الرصاص على **"جون كريستو"**، ولكن لماذا أطلقته عليه؟ إنه لا يجد سبباً معقولاً يدفعها إلى قتله. ترى هل يستمر الخدم في الكذب لتغطية سيدتهم؟ وعاد يفكر في الأمر:

"ترى هل هي صادقة في أنها لا تذكر لماذا أخذت المسدس؟ إنها بالتأكيد كان يمكن أن تقدم تعليلاً أفضل، ولكنها تبدو طبيعية وهي تدلي بهذا التعليل الغريب. إنها تقنعك بأنها تقول الحقيقة!"

ونهض ثم قال في صوت جاف:

– حينما تتذكرين، أرجو أن تتفضلي بإخبارنا السبب.

– طبعاً، طبعاً، إنني أتذكر الأمور فجأة أحياناً!

- 13 -

انتهى التحقيق، وكان إجراء شكلياً، فقد طلب البوليس تأجيله أسبوعين.

وكانت **"چيردا"** قد حضرت من **"لندن"** برفقة السيدة **"باترسون"** في سيارة، وكانت عصبية مرتبكة، وبعد أن فرغت من التحقيق عادت إلى سيارتها.

وفي هذه اللحظة التقط أحد الصحفيين صورة لـ**"چيردا"**، لقد كانت كمن ارتدى قناعاً من الحيرة... وقالت **"ميدج"**:

– يا لها من مسكينة!!

وقال **"إدوارد"**:

– إنني لا أرى داعياً للحزن على شخص مثل **"كريستو"**.. إن زوجته المسكينة قد تحطمت تماماً.

فقالت **"ميدج"**:

– إنه كان كل شيء في حياتها.

وانتهى الحديث عند هذا الحد، فقد كان على "**هنريتا**" أن تأخذ "**ميدج**" في سيارتها إلى "**لندن**"، أما "**إدوارد**" فقد عاد إلى قصر "**هولو**" ليتناول طعام الغداء، ثم يستقل قطار بعد الظهر مع "**دافيد**". وكان قد دعا "**ميدج**" إلى الغداء في قصر "**إينزويك**" في يوم ترك لها تحديده، فقالت "**ميدج**" إن الغداء يجب أن يستغرق نحو ساعة واحدة، فابتسم وقال:

– إنها مناسبة طيبة، تستدعي أن يمنحوك إجازة.

ونظرت "**هنريتا**" إلى "**لوسي**" وقالت:

– أظن أنه يمكنني أن أعود إلى هنا، أليس كذلك؟

– بلى يا عزيزتي، ومع ذلك فإن هناك تحقيقًا سيُجرى بعد أسبوعين.

واتجهت "**هنريتا**" إلى السيارة، فاستقلتها مع "**ميدج**"، وانطلقتا. وبعد فترة صمت قالت "**ميدج**":

– إنني سعيدة بالابتعاد عن هذا المكان... وحتى بالابتعاد عن "**لوسي**"، فهي مع رقتها تخيفني أحيانًا.

وكانت "**هنريتا**" تنظر معظم الوقت في مرآة القيادة، فقالت دون اكتراث:

– إن "**لوسي**" تضفي لونًا خاصًا على أي شيء... حتى على الجريمة!

– هل تعرفين أنني لم أفكر في الجريمة من قبل؟

– ولماذا تفكرين؟ إن الجريمة ليست من الأشياء التي يستحب التفكير فيها، قد تسهل قراءتها في صحيفة، أما في الحقيقة...

فاكملت "**ميدج**":

– فهي فظيعة.

– لا داعي لأن تزعجي نفسك بها، فأنت أبعد الجميع عنها.

– هل تفهمين معنى مسألة المسدس الثاني هذا يا "**هنريتا**"؟

– كلا... إنها فقط تبرئ "**جيردا**" لكنها لا تقدم في التحقيق ولا تؤخر.

– ولكن إذا كان أحد أسلحة "**هنري**"...

– تذكري أننا لا نعلم، فالبوليس لم يعثر بعد على المسدس الذي ارتكبت به الجريمة.

– هذا صحيح، وقد يكون لشخص خارجي، هل تعلمين أنني أميل إلى اتهام تلك المرأة.

– "**فيرونيكا كراي**"؟

– نعم.

ولم تعلق "**هنريتا**"، بل استمرت تقود السيارة وقد ركزت بصرها على الطريق أمامها، فقالت "**ميدج**" في إلحاح:

– نعم إنه محتمل.

– ألا تعتقدين...؟

– لا فائدة من التخمين، إن أفضل حل هو أن نخرج جميعًا من المشكلة... ولو أنني أحبذ أن تكون المتهمة "**فيرونيكا**"، فلن يسرني شيء بقدر أن أراها تقوم بالدور – كما تقول "**لوسي**" – في قفص الاتهام.

- 14 -

وقف "**إدوارد أنجكاتيل**" وسط زحام شارع "**شافتسبري**"، مترددًا في دخول محل أزياء يحمل اسم السيدة "**ألفاج**". لقد أحجم عن الاتصال بـ"**ميدج**" تليفونيًا ليدعوها لتناول طعام الغداء؛ فقد صدمته المحادثة التليفونية التي جرت بينها وبين السيدة "**ألفاج**" في قصر "**هولو**".

كان في لهجة "**ميدج**" ذلة ومسكنة أهاجت شعوره، فلم يعهد "**ميدج**" إلا مرحة ضاحكة. ترى كيف تحملت وقاحة صاحبة المحل؟ منذ تلك اللحظة قرر

"إدوارد" أن المسألة كلها خطأ، يجب تصحيحه.

كان يكن إعزازاً خاصاً لـ"ميدج". كان دائماً يسميها "ميدج" الصغيرة. كانت في أول زيارة لها لقصر "إيتزويك" خجولة معقودة اللسان، ولكنها سرعان ما اندمجت، ورأى "إدوارد" أن عدم إدراكه لحقيقة حال "ميدج" إنما يرجع إلى إصراره على العيش في الماضي وعدم اعترافه بالحاضر - ومنذ سمع حديث "ميدج" مع صاحبة المحل فارقته راحة البال، وجعل يلوم نفسه على إهماله متابعة أحوال "ميدج" والاهتمام بسعادتها، وأقلقه عملها المزري لدى السيدة "ألفاج"، وها هو قد حضر ليرى المحل الذي تعمل فيه.

كلا، إن هذا المكان لا يليق بـ"ميدج"، ويجب على أحد أفراد الأسرة - "لوسي أنجكاتيل" مثلاً - أن تتخذ إجراء ما إزاء هذا المشكل.

وبمجهود كبير تغلب "إدوارد" على خجله، فشد قامته، ودخل المحل، ولكنه حين وجد نفسه بالداخل سمَّره الارتباك في مكانه... لقد شاهد شقراوين حادتي الصوت تفحصان بعض الثياب في أحد الأركان، بمساعدة بائعة، وفي آخر المحل كانت سيدة قصيرة القامة، ذات أنف ضخم وشعر مصبوغ بالحناء تناقش زبونة مرتبكة، ومن مقصورة مجاورة سمع صوتاً قبيحاً لامرأة يقول:

- إنها ثياب فظيعة، ألا يمكنك أن تعرضي عليَّ ثياباً أفضل؟

وسمع صوت "ميدج" يرد قائلاً:

- إن هذا الثوب الخمري بديع حقيقة، وأعتقد أنه يناسبك...

- إنني لن أضيع وقتي في ارتداء ثياب لا تليق بي. لقد قلت لك إنني لا أحب اللون الأحمر ولكنك لا تعيرين ما أقول أي انتباه!

- لنجد لك ثوباً آخر، هل تحبين اللون الأخضر؟ أم البيج؟

- إنها ألوان فظيعة، كلا، إنني لا أرى أي فائدة، إنني أضيع وقتي.

وكانت السيدة "ألفاج" قد تخلصت من الزبونة، وتقدمت إليه، فجمع

أطراف شجاعته وقال:

- هل... هل يمكنني... هل الآنسة "هارد كاسل" هنا؟

فارتفع حاجبا السيدة "ألفاج"، ولكن عينها الخبيرة لاحظت ثياب "إدوارد" الأنيقة، فابتسمت، وكانت ابتسامتها مع الجهد أقبح من لسانها السليط...

ومن المقصورة سمع المرأة تقول:

- كم أنت مهملة! سأرتدي الثوب بنفسي... أعطيني الحزام.

واتسعت الابتسامة القبيحة على وجه السيدة "ألفاج"، وقالت:

- ستفرغ "ميدج" من عملها بعد دقيقة واحدة.

وفي هذه اللحظة غادرت المقصورة سيدة صفراء الشعر سيئة الخلق، تحمل مجموعة من الصناديق، واتجهت إلى باب الخروج رأساً. تتبعها "ميدج" في ثوب أسود بسيط، لتفتح لها الباب، وقد بدت التعاسة واضحة على وجهها. فقال لها "إدوارد" على الفور:

- جئت لآخذك معي لتناول الغداء.

وألقت "ميدج" نظرة سريعة على الساعة، فوجدتها الواحدة وعشر دقائق، فقالت:

- إنني لا أفرغ من عملي قبل الواحدة والربع...

فتدخلت السيدة "ألفاج" قائلة في نوبة كرم مفاجئ:

- يمكنك أن تخرجي الآن، فلا داعي لأن ينتظرك صديقك.

وكانت تضغط على مخارج الألفاظ وهي تقول كلمة "صديقك"، ومع ذلك فقد قالت "ميدج":

- شكراً لك يا سيدة "ألفاج"، لحظة واحدة، ريثما أرتدي ملابسي.

وجرت "ميدج" إلى نهاية المحل، حيث اختفت، وبقي "إدوارد" ينتظر، ولما عادت "ميدج"، قادها "إدوارد" إلى الطريق وهو يقول:

- يا إلهي ... هل هذا هو نوع العمل الذي تمارسينه؟ لقد سمعت تلك المرأة السليطة تتحدث إليك من وراء المقصورة. كيف تتحملين هذا يا "**ميدج**"؟ لماذا لم تلق بالثوب في وجهها؟

- لأنني سأفقد عملي إذا ارتكبت عملا كهذا!

- ولكن ألا تشعرين بهذه الرغبة أحيانًا؟

- بلى، وخصوصاً في نهاية يوم قائظ الحر خلال الأوكازيونات.

- "**ميدج**"، يا صغيرتي العزيزة، هذا العمل لا يليق بك أبداً.

فضحكت "**ميدج**" وقالت:

- لا تقلق نفسك، لماذا حضرت إلى هنا بحق السماء؟ لماذا لم تتصل بي تليفونيًا؟

- أردت أن أرى كل شيء بنفسي، كنت قلقًا عليك. إن "**لوسي**" لا تحدث خدمها بتلك اللهجة التي كانت المرأة السليطة تحدثك بها، وددت لو أنني أخذتك من هذا المكان الكريه إلى "**إيتزويك**" رأسًا، لكي تبقي هناك. هذا إذا كنت ترين أن الزواج مني أمر مقبول...

- ماذا تعني يا "**إدوارد**"؟

- إنني أقترح عليك أن تتزوجيني يا "**ميدج**" وأنا أعلم أنه ليس اقتراحًا رومانسيًا على الإطلاق؛ فأنا شخص ممل لا أجيد شيئًا.. إنني فقط أقرأ الكتب، وأتسكع هنا وهناك، ولكن على الرغم من أنني شخص لا أثير الاهتمام، فإنني أعلم أنه يمكننا أن نعيش معًا، وأعتقد أنك ستكونين سعيدة يا "**ميدج**"، فهل تقبلين؟

فابتلعت "**ميدج**" لعابها، ثم قالت:

- ولكني أعتقد أنك و"**هنريتا**"...

ثم صمتت، فقال "**إدوارد**" في صوت هادئ:

- نعم، لقد سألت "**هنريتا**" أن تتزوجني ثلاث مرات فرفضت.

وسادت فترة صمت أخرى، قبل أن يستطرد:

- والآن يا عزيزتي "**ميدج**"، ما رأيك؟

فتطلعت إليه، ثم قالت في تأثر:

- إنه يبدو أمرًا غريبًا، أن تقدم للمرء الجنة على طبق فضي...

فأشرق وجهه، ووضع يده فوق يدها البضة الصغيرة، وقال:

- الجنة على طبق فضي، إذن هذا هو شعورك نحو "**إيتزويك**"؟ إنني سعيد جدًا يا "**ميدج**".

*****

قالت السيدة "**أنجكاتيل**" وهي تصافح "**إدوارد**" وتربت كتف "**ميدج**":

- إنني سعيدة جدًا يا عزيزي، لقد تصرفت التصرف الصحيح بدفعها إلى ترك ذلك المحل المفزع، والحضور إلى هنا لعقد القران..

كان استقبال "**لوسي**" للخبر كما توقعت "**ميدج**" تمامًا، وأسعدها ذلك، فشعرت بأنها تريد أن تضحك، ثم تبكي فرحًا، وقالت في تأثر بالغ:

- يسعدني أن يعقد قراني هنا يا "**لوسي**".

- إذن اتفقنا يا عزيزتي، لا شك في أنك على صواب في هذا.

- إنني أريد احتفالاً بسيطًا.. وبثوب بسيط.

- لا تقولي إنك ستشترين ثوب الزفاف من السيدة "**ألفاج**".

فقال "**إدوارد**" بلهجة التأكيد:

- كلا بالطبع!

فقالت السيدة "**أنجكاتيل**":

- سآخذك إلى محل "**ميرايل**"...

– ولكني لا أملك ما أشتري به من "ميرايل" .

– هراء... إنني و "هنري" لابد أن نقدم هدية للعروس، إن "هنري" لم يذهب إلى عرس منذ سنتين، وسأرتدي أنا ثوباً سماوياً، وعليك يا "إدوارد" أن تحضر صديقاً، وإلا فلا مناص من اصطحاب "دافيد" . إنه سيفيد كثيراً من حضور مثل هذا الحفل، فسيعلمه الاتزان. وربما كان من الأفضل الاقتصار على ضيوفنا الذين حضروا الجريمة!

وكانت السيدة "أنجكاتيل" تقول الجملة الأخيرة في بساطة فقالت "ميدج" :

– يبدو أن "لوسي" كانت قد دعت ضيوفها لتسليهم بالجريمة!

ولدهشتها قالت "لوسي"، وهي غارقة في خواطرها:

– نعم... يبدو أن الأمر كان على هذا الوضع! حفلة لإطلاق الرصاص. كلما فكرت في ذلك الحادث، زدت يقيناً أنها كانت كذلك!

فاعترت "ميدج" رعدة، وقالت:

– حسناً، لقد انتهى كل شيء الآن.

– إنه لم ينته بعد، لقد أجل التحقيق فقط، لكن رجال المفتش "جرانج" ما انفكوا يرتادون الغابة ويضعون أنوفهم في كل شيء.

– عم يبحثون؟ عن السلاح الذي قتل به "جون كريستو" ؟

– لابد أن الأمر كذلك، حتى لقد جاءنا المفتش بأمر تفتيش، وكان يحاول المسكين في خجل أن يفهمنا حقيقة الموقف، وطبعاً سمحنا له بما أراد، إن الأمر كله مدهش. لقد فتشوا كل شيء، وكنت أنا أتابع عملهم، واقترحت عليهم أماكن للبحث لم تخطر لهم ببال، ولكنهم لم يعثروا على شيء! ولقد ساءهم ذلك.

*****

جلس "بوارو" على حافة التل المشرف على أشجار الكستناء وحمام السباحة. لم تكن لديه أية نية في مشاركة رجال البوليس في البحث، حتى بعد أن سمحت له السيدة بذلك، وكان في هذه اللحظة يعجب للطف ورشاقة السيدة "أنجكاتيل"، ومن وقت لآخر كان يسمع قرقعة الأغصان الجافة تحت أقدام رجال البوليس الثقيلة، أو يرى أشباحهم خلال أشجار الكستناء المترامية أمامه.

وفجأة رأى "هنريتا" قادمة، وتوقفت قليلاً حين لمحته، ثم تقدمت رأساً إلى مكانه، وجلست بجانبه وحيته قائلة:

طاب صباحك يا سيد "بوارو"، لقد كنت أفكر في زيارتك. هل ترأس جماعة الباحثين؟ إن المفتش يبدو في غاية النشاط ترى عم يبحثون؟ عن المسدس؟

– نعم يا آنسة "سافرنيك" .

– هل تعتقد أنهم سيجدونه؟ وفي أي مكان سيجدونه؟

– نعم... فقد حان وقت العثور عليه!

– إن حديثك يبدو غريباً أحياناً يا سيد "بوارو" .

– إن الأشياء الغريبة هي التي تحدث، أرى أنك قد عدت سريعاً من "لندن" .

– إن القاتل كثيراً ما يعود إلى مسرح الجريمة، أليست هذه هي الفكرة الشائعة يا سيد "بوارو" ؟ إنك تعتقد أنني القاتلة، ولا تصدقني حينما أقول لك إنني لا أقوى على قتل ذبابة.

ولم يبادر "بوارو" بالرد، وبعد برهة قال:

– كنت أعتقد منذ البداية، أن هذه الجريمة إما أن تكون من السهولة بحيث يصعب تصديق سهولتها، فالسهولة يا آنسة كثيراً ما تحير المرء، هي في غاية التعقيد. ومعنى ذلك أننا نواجه عقلاً جباراً قادراً على الابتكار، بحيث إننا

كلما اتجهنا إلى الحقيقة، قادنا العقل الجبار إلى طريق يبتعد بنا عنها. هناك عقل ذكي يعمل ضدنا . . . وينجح في عمله!

– حسن، وما علاقتي أنا بكل هذا؟

– إن العقل الذي يعمل ضدنا عقل فنان يا آنسة.

– آه، من هذا الباب أدخل أنا إذن!

- 15 -

زار المفتش "جرانج" الـ" **ريست هافن**" ليتناول قدحًا من الشاي مع "**بوارو**". وكان في حالة تشاؤم وقال المفتش وهو يشرب الشاي:

– إن التحقيق الذي أجلناه أسبوعين سيحل بعد غد، ومع ذلك فإننا لم نتقدم خطوة واحدة. إن المسدس في مكان ما من هذه الغابات التي يحتاج البحث والتنقيب خلالها إلى جيش كامل، إن البحث عن المسدس خلال هذه الغابات كالبحث عن إبرة في كومة من القش، والواقع أننا يئسنا من البحث، وقد لا نجد المسدس على الإطلاق.

– سنجده إن عاجلاً أو آجلاً، وأنا أميل إلى الاعتقاد بأنك ستجده قريبًا، هل تريد قدحا آخر من الشاي؟

– لا بأس. . .

وجعل يرتشف الشاي وهو مكتئب، وأخيراً قال:

– لقد جعلتني هذه القضية أضحوكة "**اسكتلنديارد**" يا سيد "**بوارو**". إنني لا اعرف كيف أتصرف مع هؤلاء الناس، فهم يبدون لنا كل مساعدة، ولكن كل معلومات يدلون بها تقودنا إلى الفشل، إنها تقودنا في الواقع بعيداً عن الحقيقة.

– بعيداً . . . نعم بعيداً!

– خذ مسألة المسدس مثلاً. يقول تقرير الطبيب الشرعي إن "**جون كريستو**" مات رمياً بالرصاص قبل حضورك مسرح الجريمة بدقيقة أو دقيقتين. وكانت السيدة "**أنجكاتيل**" تحمل سلة بيض، و"**هنريتا**" تحمل سلة أزهار، و"**إدوارد**" يرتدي ثياب الصيد وقد حشا جيوبه بالخرطوش. . وكان يمكن لكل واحد من هؤلاء أن يخفي المسدس معه ثم يحمله بعيداً. ولم نجد المسدس في اي مكان قريب من حمام السباحة، لقد بحثنا كل شبر من الأرض، وأنا واثق بعدم وجوده.

فأومأ "**بوارو**" برأسه، بينما استطرد المفتش:

– إن كل قرينة عثرت عليها كانت تقودني إلى لا شيء. . وقصصهم عن كيف قضوا صباح يوم الجريمة تبدو ماسكة: كانت الآنسة "**سافرنيك**" مشغولة بقطف الأزهار، والسيدة "**أنجكاتيل**" تجمع بيض الدجاج، والسير "**هنري**" و"**إدوارد**" خرجا للصيد ثم افترقا، فعاد السير "**هنري**" إلى القصر، أما "**إدوارد**" فقد اخترق الغابة في طريقه إلى حمام السباحة، والشاب الصغير كان في حجرته يقرأ كتابا، أما الآنسة "**هارد كاسل**" فقد كانت تقرأ كتابًا في الحديقة. كلها قصص تبدو معقولة، ولا دليل يمكن أن يثبت صحة قصة منها. أما "**جدجيون**" فقد حمل أقداح الشراب إلى الاستراحة في تمام الساعة الثانية عشرة، ولم يدل إلينا بأية معلومات بخصوص الضيوف. . . وهكذا ترى أن كلا منهم يخفي شيئًا.

– أحقًّا؟

– طبعًا، ولعل الأجدر بالاتهام هي "**فيرونيكا كراي**"، فقد تشاجرت مع "**كريستو**"، وجاهرت بانها تكرهه، ومن ثم فهي حرية بأن تطلق عليه الرصاص، ولكنني لم أجد دليلاً واحداً يثبت أنها أطلقت عليه الرصاص. ولم تكن أمامها فرصة لسرقة أحد مسدسات مجموعة السير "**هنري**"، ولم يرها أحد تبرح

الفيللا أو تتجه إلى حمام السباحة في ذلك اليوم، والمسدس المفقود ليس في حوزتها الآن.

– و "**هنريتا سافرنيك**"؟

– لقد عادت إلى الاستديو رأساً، وسمحت لنا بتفتيش الاستديو، فوجدناه مملوءاً بالأشكال الغريبة: مجموعة من الألومنيوم والخشب والبرنز في أشكال غريبة، وحصان ليس بحصان!

– حصان؟

– نعم، إذا شئت أن تسميه حصاناً، ولست أدري لماذا لا يذهب أمثالها لمشاهدة حصان حقيقي قبل عمل تمثال له.

فقال "**بوارو**" في صوت حالم:

– حصان!

فالتفت إليه "**جرانج**" وقال:

– نعم حصان، ماذا يثير الاهتمام في ذلك؟

– لا شيء... إنها ليست سوى فكرة.

– على كل حال لقد عادت "**هنريتا**" إلى قصر "**هولو**" منذ يوم أو يومين، هل تعلم هذا؟

– نعم، لقد تحدثت إليها، ورأيتها مراراً تتريض في الغابة.

– إنها لا تهدأ، لقد كانت تحب الطبيب القتيل، ولعل هذا كان السبب في نطقه باسمها ساعة احتضاره.

وسكت المفتش قليلاً، ثم استطرد:

– إن في الجو شيئاً يبعث على الحيرة. ويبدو لي أنهم جميعاً يعرفون. فهذه السيدة "**أنجكاتيل**" لا تجد مبرراً معقولاً لوضعها المسدس في قاع سلة البيض، إنه عمل جنوني. إنني أحياناً أظن أنها مجنونة.

– كلا، إنها ليست مجنونة.

– وهناك "**إدوارد أنجكاتيل**"، لقد ظننت أنني ساحصل منه على شيء، خصوصاً وقد ألحت السيدة "**أنجكاتيل**" إلى حبه لـ "**هنريتا**"، فقد كان في ذلك دافع للتخلص من غريمه في الحب، ولكن ها هو يعقد خطبته على الفتاة الأخرى – الآنسة "**هارد كاسل**"، فحطم الدافع على القتل...

وهكذا ترى أنها ليست سوى شكوك، لا تقودك إلا بعيداً عن الحادث!

فقال "**بوارو**" في صوت حالم:

– بعيداً لا قريباً، منه لا إليه... نعم.

– إن آل "**أنجكاتيل**" قوم غريبو الأطوار، وأكاد أقسم في بعض الأحيان أنهم يعرفون كل شيء.

– إنهم فعلاً يعرفون!

– تعني أنهم جميعاً يعرفون القاتل؟

– نعم، إنهم يعرفون، لقد كنت أظن ذلك، أما الآن فأنا متأكد تماماً.

– حسناً، إنهم يخفون الأمر فيما بينهم، ولكني ساتغلب عليهم، وساعثر على المسدس، إنني مستعد لإعطاء أي شيء في سبيل ذلك.

وكان "**بوارو**" يطل من النافذة، فلفت نظره التواء بسيط في سياج حديقته، فقال:

– إذا لم أكن مخطئاً، فهناك حقيقة كامنة في سياج النباتات قرب باب الحديقة.

وخرج الاثنان إلى الحديقة، واتجها إلى بابها، وركع "**جرانج**"، وأزاح النباتات جانباً ليرى الشيء الذي ألقي بينها، وتنهد بعمق حينما وجد أن ذلك الشيء كان من الصلب فقال:

– إنه المسدس!

والتفت المفتش إلى "**بوارو**" في شك وريبة، فقال "**بوارو**" على الفور:

– كلا يا صديقي، إنني لم أطلق النار على الدكتور "**جون كريستو**"، ولم أخف المسدس في سياج حديقتي.

– إنك لم تخفه طبعًا. حسنًا.. لقد عثرنا عليه وهو يبدو كأنه المسدس الناقص من مجموعة السير "**هنري**". وهذا أمر يمكن التأكد منه بسهولة. وبالتالي هل هو المسدس الذي استخدم في قتل "**جون كريستو**" أم لا؟

ولف المسدس في منديله الحريري بعناية، ثم قال:

– ربما كانت عليه بصمات. إن لديّ شعوراً بأن الحظ قد بدأ يحالفنا.

وغادر المفتش قيللا الـ"**ريست هافن**" في سرعة. وبعد قليل اتصل بـ"**بوارو**" تليفونيًا، وكان في صوته رنة فرح.

– أهذا أنت يا سيد "**بوارو**"؟ إنه المسدس الذي ارتكبت به الجريمة، لا شك في هذا. وهو أيضًا يحمل مجموعة كبيرة من البصمات.

– هل تعرفت البصمات؟

– ليس بعد، إنها ليست بصمات السيدة "**كريستو**" على كل حال، إنها تبدو كبصمات رجل. وسأزور قصر "**هولو**" غداً لآخذ بصمات الجميع، ومن ثم يتضح الموقف.

– بالتأكيد، بالتأكيد.

وفي اليوم التالي اتصل به المفتش تليفونيًا. وكانت رنة الفرح قد اختفت من صوته، قال في كآبة:

– إن هذه البصمات لا تخص أحداً ممن شملتهم القضية. ويبدو أن الجريمة من فعل شخص خارجي، شخص كان يحقد على "**جون كريستو**" سرق السلاح من القصر وصرع "**كريستو**"، وهرب دون أن يراه أحد.

– هل تريد بصمات أصابعي يا صديقي؟

– لا بأس، ألم تكن من شهود الجريمة؟!

تنحنح المحقق، ثم نظر إلى رئيس المحلفين الذي كان ينظر في ورقة أمامه. وأخيراً قرأ:

"قررت المحكمة أن القتيل قد لاقى حتفه بيد مجهول أو مجهولين".

وهز "**بوارو**" رأسه... لم تكن هناك مندوحة من مثل هذا القرار.

وأسرعت "**إيلزي باترسون**" تقول لـ"**چيردا**":

– أسرعي يا عزيزتي حتى لا نفوّت القطار.

وأطاعت "**چيردا**"، وقد بدا عليها الارتياح... فقالت "**ميدج**":

– يا لـ"**چيردا**" المسكينة... الواقع أن وفاة "**چون**" حررتها تمامًا من ضيافتك المخيفة يا "**لوسي**".

– ما هذه القسوة يا "**ميدج**". إن أحداً لا ينكر أنني حاولت إدخال السرور إلى نفسها.

– إنك تكونين أسوأ حين تحاولين.

– حسنًا، لقد انتهى كل شيء... إلا فيما يختص بالمفتش "**جرانج**" المسكين، إنني في الواقع آسفة من أجله، ترى هل يسره أن تدعوه لتناول الغداء... كصديق؟

– من الأفضل أن تدعيه وشأنه يا "**لوسي**".

– إن الأمر يستدعي احتفالاً ما، أليس بديعًا أن ينتهي الأمر كما نشتهي؟ إنني أعرف فيم تفكر يا "**هنري**"، وسأهتم بذلك بعد الظهر.

– ماذا تخبئين لنا من مفاجآت جديدة؟

– أوه، لا شيء، مجرد تشطيبات بسيطة!

فنظر إليها السير "**هنري**" في شك، وسارت الجماعة، فلما وصلوا إلى قصر "**هولو**" استقبلهم "**جدجيون**" فقالت السيدة له:

– لقد سار كل شيء على ما يرام، احمل هذا الخبز إلى الخدم. إنني أقدر

شعوركم جميعًا.

– لقد كنا جميعًا في غاية القلق من أجلك يا سيدتي.

– شكرًا لكم، الواقع أنني استمتعت بالحادث، فهو شيء غير مألوف في حياة الإنسان الرتيبة.

❁❁❁❁❁

استقبل "بوارو" زائره الثالث بعد ظهر ذلك اليوم، لقد سبق أن زارته "هنريتا سافرنيك"، ثم زاره المفتش "جرانج" واليوم تزوره السيدة "أنجكاتيل". رآها تسير في رشاقة وخفة خلال ممر الحديقة فاسرع يفتح لها الباب... فابتسمت له وقالت:

– لقد جئت لأزورك...

– يسعدني ذلك يا سيدتي.

وقادها إلى غرفة الجلوس، فجلست على أحد المقاعد وهي تبتسم. وقال "بوارو" لنفسه: "لقد بدت عليها علامات الكبر، إن شعرها رمادي، وقد بدأت التجاعيد تظهر على صفحة وجهها، ولكن لها سحرًا، وستظل دائمًا ساحرة".

قالت السيدة:

– أريدك أن تؤدي لي خدمة.

– بكل سرور يا سيدتي.

– ولكني أولاً سأتحدث عن "جون كريستو".

– عن الدكتور "كريستو"؟

– يبدو لي أن أفضل تصرف في مسألته هو أن ننتهي منها.

– إنني لست متأكدًا من أنني أفهم ما تعنين يا سيدتي.

فرفعت إليه وجهًا مشرقًا، وابتسامة ساحرة، ومدت يدًا رقيقة لمست بها

كتفه، وقالت:

– يا عزيزي "بوارو"، إن البوليس سيواصل البحث عن صاحب تلك البصمات، ولكنه لن يعثر عليه أبدًا، وسيضطرون في نهاية الأمر إلى ترك الموضوع كله، ولكنك لن تترك الموضوع أبدًا. أليس كذلك؟

– نعم إنني لن أترك هذا الموضوع.

– هذا بالضبط ما ظننته، وهذا هو سبب حضوري... إنك تبحث عن الحقيقة، أليس كذلك؟

– نعم... بلا شك.

– إنني لم أوضح غرضي جيدًا. إنني أحاول أن أفهم لماذا لا تترك الموضوع: ليس هذا بسبب سمعتك، ولا لأنك تريد أن تشنق القاتل – الشنق كما تعلم ميتة قاسية – وإنما لأنك تريد أن تعرف، أليس كذلك؟ فإذا قدر لك أن تعرف الحقيقة، أو إذا قيلت لك الحقيقة، فهل تكتفي بذلك يا سيد "بوارو"؟

– هل تريدين أن تدلي إليّ بالحقيقة يا سيدة "أنجكاتيل"؟

فأومأت برأسها، فعاد يسأل:

– أنت تعرفين الحقيقة إذن؟

– لقد عرفت الحقيقة منذ مدة طويلة، وأود أن أرويها لك. ولكن بشرط أن تنتهي الأمور عند هذا الحد، فهل توافق؟

– كلا يا سيدتي، إنني لا أوافق على اقتراح كهذا.

كان يود في نفسه أن يدع الأمور تنتهي عند هذا الحد، لمجرد أن "لوسي" طلبت ذلك ولكن، ليت الأمور كانت كما تخيلتها السيدة.

وجلست السيدة جامدة، ثم رفعت حاجبيها وقالت:

– ترى هل تدرك معنى ردك هذا؟!

❁❁❁❁❁

استلقت السيدة "**أنجكاتيل**" في فراشها. وراحت تفكر.. نعم.. إنها يجب أن تقوم بزيارة أخرى لـ"**بوارو**"، وستقنعه بوجهة نظرها، و...

وفجأة نهضت من فراشها، وتوجهت إلى غرفة "**هنريتا**"، وكان عقلها النشيط يعمل قبل فمها، واندفعت إلى الغرفة وهي تقول:

– وفجأة تحققت يا عزيزتي أنك نسيت هذا!

فتململت "**هنريتا**" في فراشها، وقالت:

– بحق السماء يا "**لوسي**"، إن الطيور لم تستيقظ بعد!

– أعرف هذا يا عزيزتي، ولكنها كانت ليلة مضطربة، كنت أفكر فيما يجب أن أقوله للسيد "**بوارو**".

– إنني آسفة يا "**لوسي**"، ولكني لا أفقه حرفًا مما تقولين، ألا يمكنك أن تنتظري حتى الصباح؟

– إنها مسألة الجراب يا عزيزتي، ظننتك نسيت أمره.

وفجأة جلست "**هنريتا**" في فراشها، وقد طار النوم من عينيها وقالت:

– الجراب؟

– لقد كان مسدس "**هنري**" في جراب، ولم يعثر البوليس على الجراب بعد؛ لأنهم لم يفكروا فيه.

ونهضت "**هنريتا**" من فراشها وقالت:

– إن الإنسان يغفل أحيانًا عن بعض الأشياء.

- 16 -

تقلبت "**چيردا**" في فراشها، ثم اعتدلت جالسة.

لقد عاودها الصداع، فقالت:

"سأعد لنفسي قدحًا من الشاي".

وذهبت إلى المطبخ، ووضعت الإناء على الموقد، وكان الماء يوشك أن يغلي حينما سمعت جرس الباب يدق. وكان الخدم في إجازة، فذهبت "**چيردا**" إلى الباب، وفتحته. وأدهشها أن ترى "**هنريتا**"، فقالت:

– تفضلي يا "**هنريتا**". إن الجميع في الخارج، وأنا وحيدة.

– يسرني ذلك، فقد أردت أن أتحدث إليك على انفراد. اسمعي يا "**چيردا**"، ماذا فعلت بالجراب؟

وتوقفت "**چيردا**"، وفجأة خلت نظراتها من كل تعبير، وقالت:

– الجراب؟

ثم فتحت بابًا، وقالت:

– يحسن أن تدخلي هنا، إن الغرفة متربة مع الأسف، فلم ينظفها الخدم هذا الصباح، لأنهم كانوا في إجازة و...

فقاطعتها "**هنريتا**" قائلة:

– اسمعي يا "**چيردا**"، يجب أن تفهمي، أن كل شيء على ما يرام، ما عدا الجراب، وليس ثمة ما يمكن أن يربطك بالحادث... إنني عثرت على المسدس حيث ألقيته أنت في الدغل بالقرب من حمام السباحة، فأخفيته في مكان لا يمكن أن تكوني أنت قد أخفيته فيه، وعلى المسدس بصمات أصابع لا يمكن أن يصل البوليس إلى صاحبها... ولكن هناك الجراب، يجب أن أعرف ماذا فعلت به.

وصمتت، وهي تدعو ربها أن تفهم "**چيردا**" بسرعة. ولم تكن "**هنريتا**" تدرك لماذا هي في عجلة، ولكنها كانت فريسة شعور بأن الأمر عاجل. لقد تأكدت من أن أحدا لم يكن يتبعها، فقد بذلت كل ذكائها لتضلل من يمكن أن يفكر في اقتفاء أثرها.

وكانت "**چيردا**" لا تزال تحملق إليها، وقالت "**هنريتا**" لنفسها:

إن "**چيردا**" بطيئة مع الأسف». وقالت بصوت مرتفع:

– إذا كان الجراب لا يزال في حوزتك يا "**چيردا**" ، فمن الأفضل أن تعطيه لي، وسأتخلص أنا منه. إنه الشيء الوحيد الذي يربطك بمصرع "**چون**" ، فهل هو معك؟

وبعد فترة هزت "**چيردا**" رأسها إيجابًا، فقالت "**هنريتا**" :

– ألا تعلمين أنه من الجنون أن تحتفظي به؟

– لقد نسيت أمره، وكان في غرفتي، وحين جاء رجال البوليس إلى منزلي، قطعته إربًا، ووضعته في حقيبة الأشغال الجلدية.

– حسنًا، إنها فكرة طيبة.

– إنني لست بالغباء الذي يتصوره الجميع.

وفجأة أخذت تولول:

– "**چون**" ... "**چون**" .

– إنني أقدر شعورك يا عزيزتي.

– ولكنك لا تعلمين، لم يكن "**چون**" ... لقد كان أكذوبة، كل آمالي فيه كانت في غير موضعها. لقد رأيت وجهه حين تبع المرأة تلك الليلة. وكنت أعلم أنه كان يحبها، ولكنني ظننت أن كل شيء قد انتهى.

– ولكن كل شيء كان فعلاً قد انتهى.

– كلا، لقد اقتحمت علينا السهرة، وتعمدت أن تقول إنها لم تره منذ أعوام، ولكنني رأيت وجه "**چون**" حين خرج معها. وذهبت أنا إلى فراشي. وحاولت أن أنام فلم أتمكن، وحاولت أن أقرأ القصة البوليسية التي كان يقرؤها "**چون**" ، ولكنه لم يحضر، وأخيراً خرجت. كان القمر يضيء الحديقة فسرت في الطريق المؤدي إلى حمام السباحة، فرأيت ضوءاً في الاستراحة، ورأيتهما هناك: "**چون**" وتلك المرأة.

وأنت "**هنريتا**" بحركة بسيطة ورأت أن تعبير وجه "**چيردا**" قد تغير، لقد اختفى القناع الحائر، وحل محله تعبير قاس رهيب.

واستطردت "**چيردا**" تقول:

– لقد كنت أثق به، وعبدته كما يعبدون الإله، وكنت أعتقد أنه أنبل إنسان على وجه الأرض، ولكنه كان كذابًا أشرا... وفي لحظة أدركت أنني فقدت كل شيء.

وكانت "**هنريتا**" تتفرس فيها كالمأخوذة... واستطردت "**چيردا**" :

– ولم أحتمل، فقتلته... لم أجد بداً من قتله، هل تفهمين يا "**هنريتا**" ؟
وكان عليّ أن أكون على حذر؛ لأن رجال البوليس قوم أذكياء، ولكنني لست من الغباء بالقدر الذي يتصوره الناس... إذا ادعيت البلاهة، ووضعت على وجهك قناعاً من الحيرة والارتباك، فإن الناس سيصدقون أنك غبية، في وقت تكونين أنت قد ضحكت منهم في أعماقك. وعرفت من القصة البوليسية أن البوليس يمكنه أن يعرف نوع السلاح الذي يطلق على القتيل، وكان السير "**هنري**" قد علمني بعد ظهر ذلك اليوم كيف أحشو مسدسًا وكيف أطلقه، فسرقت مسدسين، وأطلقت الرصاص من واحد وألقيته في الدغل وجعلت الناس يرونني ممسكة بالثاني. كانت الفكرة أن أدعهم يظنون أنني أطلقت الرصاص عليه، ثم يكتشفون أنه لا يمكن أن يكون قد قتل بالسلاح الذي وجدوه في يدي، ومن ثم يقتنعون بأنني لم أقتله!

وهزت رأسها في انتصار، ثم استطردت:

– ولكنني نسيت أمر الجراب، وكان موضوعًا في درج في غرفة نومي... ولكن البوليس لن يعرفه اليوم!

– قد يعرفونه، من الأفضل أن تعطيه لي، وسآخذه معي، ومتى تخلصت منه، فأنت في مأمن.

وفجاة شعرت بانها متعبة، فاعتدلت في جلستها. وقالت "**چيردا**" :

– إنك تبدين متعبة، حسنًا، لقد كنت أعد الشاي.

وغادرت "**چيردا**" الغرفة، ثم عادت تحمل صحفة عليها إناء للشاي وآخر للحليب (اللبن) وقدحين ووضعت الصحفة على المنضدة، وصبت لـ"**هنريتا**" قدحًا من الشاي، وقدمته إليها، فقالت:

– شكرًا، والآن اذهبي وأحضري الجراب.

وترددت "**چيردا**" قليلا، ثم غادرت الغرفة، ووضعت "**هنريتا**" القدح على المنضدة، واعتمدت رأسها بين يديها، لقد كانت متعبة، ولكن كل المتاعب قد انتهت الآن، واصبحت "**چيردا**" في أمان، لقد أراد لها "**چون**" هذا.

واعتدلت في جلستها، ومدت يدها لتمسك بقدح الشاي، ولكنها سمعت حركة عند الباب، فظنت أن "**چيردا**" قد عادت، ولكنها وجدت أمامها "**هيركيول بوارو**" الذي قال:

– وجدت الباب مفتوحًا، فدخلت!

– أنت... كيف عرفت أنني هنا؟

– إنك غادرت قصر "**هولو**" بغتة، وكنت أعرف أين أنت ذاهبة، فاستاجرت سيارة سريعة، وجئت إلى هنا رأسًا.

وصمت "**بوارو**" لحظة، ثم استطرد وهو ينتزع قدح الشاي من يدها ويضعه على المنضدة.

– انصحك الا تشربي هذا الشاي، إنه ليس معدًا كما ينبغي.

– وماذا في ذلك؟

– قد يكون في ذلك أي شيء!

وعادت "**چيردا**" إلى الغرفة، وكانت تحمل حقيبة في يدها، فلما رأت "**بوارو**" وقفت بغتة، ثم راحت تنقل بصرها بين "**بوارو**" و"**هنريتا**"، فقالت

"**هنريتا**" بسرعة:

– اخشى يا "**چيردا**" انني كنت موضع ريبة سيد "**بوارو**"، فتبعني وهو يعتقد أنني قتلت "**چون**"، ولكنه لا يمكن ان يثبت ذلك فقالت "**چيردا**" ببطء:

– إنني آسفة، هل تتناول قدحًا من الشاي يا سيد "**بوارو**" ؟

– كلا، شكرًا لك.

وجلست "**چيردا**"، وقالت:

– إنني آسفة لانه لا يوجد أحد بالبيت، فقد خرج الجميع للنزهة، وتركوني وحدي.

ثم أسرعت فتناولت قدح الشاي وشربته، ثم قالت:

– إن كل شيء يبعث على الحيرة، لقد كان "**چون**" يرعى كل شيء، أما اليوم فإنني لا أعرف كيف أتصرف بدونه، لقد ذهب وتركني وحيدة... إن الاطفال يسالون ولا يمكن ان أجيبهم. "**تيري**" يسالني: "لماذا قتل أبي؟" وسيكتشف في يوم ما لماذا قتل أبوه، إن "**تيري**" لابد أن يعرف.

واتكات "**چيردا**" على الأريكة، وكانت شفتاها قد شحبتا، وقالت:

– انا لا أشعر بانني بخير... آه لو كان "**چون**"...

وأسرع إليها "**بوارو**"، فاجلسها، ولكن رأسها سقط على صدرها، فمددها على الأريكة، ثم فحص عينيها، وقال:

– إنها ميتة سهلة خالية من الألم.

فحملقت إليه "**هنريتا**"، وقالت:

– هبوط في القلب؟ لا.. شيء في الشاي؟ شيء وضعته فيه عن عمد، لقد اختارت هذه الوسيلة لتغادر الحياة.

– كنت أنت المقصودة.. لقد شربت قدحك أنت.

- ولكني كنت أحاول أن أساعدها!

- هذا لا يهم، ألم تشاهدي كلبًا يقع في فخ؟ إنه يعض كل من يقترب منه، لقد كانت ترى أنك تعرفين سرها، ومن ثم حكمت عليك بالموت.

- وانت الذي جعلتني اترك قدح الشاي... هل كنت تعلم؟

- لا... لم اكن أعلم أنها دست شيئًا في الشاي، ولكنها ليست سوى شكوك... إن موتها على هذا الوضع رحمة لها.

- ولكن كيف عرفت؟

- كنت أشعر منذ البداية بانها مسرحية مدبرة، ولكني لم أعرف أن "**چيردا كريستو**" هي المدبرة إلا بعد مدة طويلة، إن مظهرها كان تمثيلاً، لانها كانت خلال حياتها تمثل دورها بمهارة. ثم اكتشفت بمضي الوقت أنني في الواقع لا احارب إلا ذكاءك، وأن اقاربك هبوا لمساعدتك بمجرد أن عرفوا ما تريدين فتضافرتم جميعًا على تمييع الموقف وتوزيع الاتهامات لتضليل رجال البوليس وإيقاعهم في حيرة.

- هذا ما أراده "**چون**" وهو معنى ندائه: "**هنريتا**" لقد كان يريدني ان احمي "**چيردا**" واعتقد انه في هذه اللحظة أدرك أنه كان حقيقة يحب زوجته أكثر من اي امرأة أخرى، وكان يعلم أنني لن اتاخر عن تلبية طلبه لأنني أحبه وقد بدأت إجابة طلبه عل الفور، وكان أول عمل لي هو أن آخذ المسدس منها وألقيه في حمام السباحة، فهذا العمل يمحو بصمات الأصابع، وحينما اكتشفت أن هناك مسدسًا آخر، عدت بعد الظهر، ووجدته بسهولة، لقد سبقت المفتش "**جرانج**" بدقيقة او دقيقتين... واحتفظت بالمسدس معي، ثم حملته إلى "**لندن**" وأخفيته في الأستديو؛ حتى تتاح لي الفرصة لإخفائه حيث لا تصل إليه أيدي رجال البوليس.

- آه... الحصان!

- كيف عرفت؟ نعم لقد صنعت الحصان خصيصًا لاخفي فيه المسدس، فرجال البوليس لن يجرؤوا على تحطيم تمثال بدعوى البحث عن مسدس... ولكن كيف عرفت مكانه؟

- فكرة الحصان، جعلتني أفكر في حصان طروادة... ولكن بصمات الأصابع، كيف افتعلتها؟

- إنها بصمات أصابع عجوز أعمى يبيع الكبريت عند منحنى الطريق، لقد جعلته يمسك المسدس ريثما أخرج له النقود، وقد فعل، ولكنه لم يكن يدري انه أمسك مسدسًا!

فنظر إليها "**بوارو**" في إعجاب شديد وقال:

- يا آنسة إنك أبرع وأذكى فتاة صادفتها في حياتي حتى الآن!

تمت بعون الله

الجنون فنون

قال "**سيمون**" يحدث زوجته في التليفون :

– ألست بحاجة إلى شيء أحضره لك معي وأنا في طريقي إلى البيت...؟

– كلا أيها العزيز.. كل شيء على ما يرام.. وقد خرجت "**بولا**" مع "**سوزي ستيل**".. أما أنا فقد أعددت عشاء فاخراً كما طلبت.

– حسناً فعلت.. إنها مناسبة مهمة كما تعلمين.

فأجابت "**شيلا**" :

– طبعاً.. أيها العزيز.

كان صوتها هادئاً.. بل وأهدأ من المألوف، مما أثار ريبته.

ولكنه طرح شكوكه جانباً وقال :

– حسناً.. سنحضر إليك بعد بضع دقائق.

– إنني في الانتظار.

– إن السيد "**بريفورت**" يفضل "**الشراب الممتاز**"..

– سأضع الزجاجة على مقربة منه.. وسأخطفها بعد أول كأس. وضحكت في مرح.

فوضع "**سيمون**" السماعة. وجلس صامتاً لحظة.. وتلك الضحكة المرحة تدوي في أذنيه.. ثم تمتم قائلاً في ضراعة :

– أسألك يا إلهي أن تنقضي هذه الليلة على خير..

ودخلت سكرتيرته.. ورآته يعض شفته في قلق وضيق.

قالت :

– الساعة الآن الخامسة يا "**سيمون**".

– أحقاً..؟ شكراً لك يا "**أيدا**".

– السيدة "**بريفورت**" وصلت منذ لحظة، وقد قلت للسيد "**بريفورت**" إنك ستصحبهما في سيارتك.

– هذا حسن.

وترددت السكرتيرة لحظة ثم أغلقت باب المكتب وقالت :

– "**سيمون**".

– نعم.

– هل ترى ذلك صواباً..؟

فأجاب وهو يقلب كفيه في يأس :

– ماذا كان بوسعي أن أفعل غير ذلك..؟ ستعلن الترقيات يوم الثلاثاء، وأنت تعرفين "**بريفورت**".. إنه يصر على زيارة الموظف في بيته قبل أن يتخذ قراراً بشأنه.. ولم أجد وسيلة أخرى سوى أن أدعوه لتناول العشاء.

فقالت "**أيدا**" وهي تجلس على حافة المكتب وتداعب شعر رأسه :

– مسكين أنت يا "**سيمون**".

وصمتت قليلاً ثم استطردت قائلة بلطف :

– إنني ما زلت أذكر الشهور الستة السعيدة التي قضيناها معاً حين ذهبت زوجتك.

فهز "**سيمون**" رأسه وابتسم في سخرية ولم يجب...

فقالت "**أيدا**" :

– هل ثمة أمل في أن تذهب زوجتك مرة أخرى..؟

– إنها يجب أن تذهب..

فنظرت إليه بإعجاب، ثم انحنت، وألصقت شفتيها بشفتيه وهي تغمغم مرة أخرى :

– مسكين يا "**سيمون**"..!!

وأردفت بعد قليل.

– الساعة الآن الخامسة وخمس دقائق.

وانزلقت عن حافة المكتب وقالت وهي تصلح هندامها:

– لا تنزعج.. سيكون كل شيء على ما يرام.

وانصرفت.

ونهض "**سيمون**" عن مكتبه، وأزال أحمر شفتي "**أيدا**" عن فمه وتمتم وهو ينظم أوراقه على المكتب:

– نعم.. سيكون كل شيء على ما يرام.

وسمع في هذه اللحظة ضحكة إحدى الموظفات، وتذكر الضحكة المرحة التي أطلقتها زوجته. وقال:

– ليس الليلة يا "**شيلا**".. أرجوك دعي هذه الليلة تمر بسلام دون أخطاء أو شذوذ.

قال ذلك وأصلح رباط عنقه وتناول قبعته وابتسم لـ"**أيدا**" مطمئناً وهو ينطلق إلى مكتب السيد "**بريفورت**" رئيس مجلس إدارة الشركة.

*****

كانت أوراق الخريف تتساقط حوله وهو يقود سيارته في الطريق إلى بيته في ضاحية "**برنتوود**".

وكان السيد "**بريفورت**" وزوجته يجلسان في المقعد الخلفي فقالت الزوجة:

– قيل لي إن لك ابنة يا "**سيمون**"، فهل هذا صحيح..؟

– نعم.. لي ابنة في الثانية عشرة من عمرها، على جانب عظيم من الجمال تدعى "**بولا**"..

وضحك كأنما ليعتذر عن تفاخره بابنته..

ولكن "**بولا**" كانت جميلة حقاً.. فهي شقراء الشعر، فاتنة العينين، رشيقة القد، وهو يحبها.. يحبها بجنون.

فقال السيد "**بريفورت**" ضاحكاً:

– لابد أنها ورثت الجمال عن أمها..

– هذا صحيح.. إن "**شيلا**" جميلة.

وتذكر أنه كان يراها جميلة حقاً، قبل أن ترسل إلى مصحة الأمراض النفسية وتعود إليه بتلك الطباع الشاذة التي حاول في البداية أن يتحملها ثم أصبح الآن يحتقرها.

لقد سألته "**أيدا**" عما إذا كانت زوجته ستذهب مرة أخرى فأجابها بأنها ستذهب..

– نعم.. لابد أن تذهب.. إنه وضع الخطة التي تكفل ذلك.. سوف يمضي في إرهاقها وإحراجها، وتجسيم أخطائها وتأليب "**بولا**" عليها حتى تنهار تماما.

*****

ولم يدر بينه وبين ضيفيه حديث آخر إلى أن وصلا إلى الفيللا وفتحت "**شيلا**" واستقبلت الضيفين بالترحاب.. وعندئذ فقط أحس "**سيمون**" بأن الليلة ستمر بسلام.. فقد كانت "**شيلا**" ترتدي ثوباً أسود أنيقاً، وكان شعرها الأسود مقصوصاً بطريقة تبرز جمال وجهها، وتتكلم في هدوء ولطف، وليس ثمة ما يريب في أمرها سوى ذلك البريق الغريب الذي يتألق في عينيها وتلك الابتسامة الخبيثة التي تتلاعب على شفتيها.

قالت السيدة "**بريفورت**" وهي تجيل البصر حولها:

– يا له من بيت جميل!

وقال السيد "**بريفورت**" وهو يجلس على أحد المقاعد الفخمة:

– يمكن معرفة الكثير عن الرجل من حياته العائلية.. إذا اضطربت حياته في بيته، انعكس ذلك على عمله في مكتبه.

فقال "**سيمون**":

– هذا صحيح..

– يسرني أن أرى ابنتك يا "**سيمون**".

– ليس الآن يا سيدي.. إنها مع بعض صديقاتها..

ثم التفت إلى "**شيلا**" التي أقبلت تحمل أقداح الكوكتيل، وقال:

– إلى أين ذهبت "**بولا**" يا عزيزتي..؟

فأجابت "**شيلا**":

– ذهبت إلى السينما، وستعود في الساعة السابعة.

فقالت السيدة "**بريفورت**":

– إذن سنستطيع رؤيتها.

فقالت "**شيلا**":

– إنها نسخة من أبيها.

وعادت إلى المطبخ، فقال السيد "**بريفورت**":

– إن لك زوجة ظريفة يا "**سيمون**"، ولست أدري كيف استطعت أن تعيش بدونها طوال الشهور التي قضتها في زيارة أسرتها.

فقال "**سيمون**" إنه في الواقع قد افتقدها كثيراً.

ثم احتسى قدح الكوكتيل واستأذن ضيفيه ولحق بزوجته في المطبخ وأغلق الباب خلفه.

وجد "**شيلا**" تحرك الطعام في وعاء قبل أن تضعه في الفرن فسأل

باهتمام:

– هل كل شيء على ما يرام..؟

– نعم، فيما عدا أنك تحاول إعادتي إلى المصحة، وإبعاد "**بولا**" عني والاستمرار في مغامراتك مع تلك المرأة "**أيدا**".

– "**شيلا**".

– وفيما عدا ذلك فإن كل شيء حسن.

– لا ضرورة للحديث في هذه الليلة يا "**شيلا**"..

– إنه كان حديثنا في الليلة الماضية والأسبوع الماضي والشهر الماضي.. أما الليلة فلا ضرورة له.

– إذا حاولت أن تفهميني، فإن..

– إنني أفهمك جيداً يا "**سيمون**"، وأفهم أنك تريدني أن ألعب دوراً يساعدك على الظفر بالترقية.. وبعد ذلك تعمل على إقصائي.. والاستئثار بـ"**بولا**" من دوني..

– أصغي إليّ يا "**شيلا**"..

– ربما تستطيع إقصائي.. ولكنك لن تستطيع الاستئثار بـ"**بولا**"..

– حسناً، لندع الحديث في هذا الآن.

فارتسمت على شفتيها ابتسامة، وومض في عينيها بريق ذكره بذلك البريق الذي ومض فيهما منذ عدة شهور عندما جاء رجال المصحة بأرديتهم البيضاء.

وأحس ببرودة تسري في أوصاله.

قال:

– هل هناك ما أستطيع عمله..؟

– أخرج صندوق القمامة إذا شئت.

– سأفعل ذلك بعد العشاء.

– بل الآن.. قبل أن تملأ رائحة القمامة جو المطبخ.

فتناول الصندوق وهم بالخروج به فقالت له:

– لا تفتحه.. وإلا شعرت بالغثيان.

فأخرج الصندوق وعاد إليها، وسأل:

– هل ثمة شيء آخر..؟

– كلا.. فقط تذكر ما قلته لك.

فصاح:

– دعيني أحذرك يا "**شيلا**".. إن..

ولكنه لم يتم عبارته..

وجد من الحكمة ألا يهددها الليلة. كذلك لم يكن من الحكمة أنه هددها ليلة أمس..

إنها تغار إلى درجة الجنون.. ويجدر به أن يعاملها برفق شديد.. إلى أن ينصرف السيد "**بريفورت**" وزوجته.

وعاد إلى حيث كان الضيفان، وملأ كأسيهما بالشراب.

وفجأة، دق جرس التليفون، فرفع السماعة، وسمع صوت السيدة "**ستيل**".

كانت تريد أن تعرف ما إذا كانت ابنتها "**سوزي**" قد جاءت لزيارة "**بولا**".. فإذا كانت قد فعلت، فيجب أن تعود إلى البيت فوراً لتناول العشاء.

فأجابها بأن "**بولا**" و"**سوزي**" قد ذهبتا إلى دار السينما.. وأبدت السيدة "**ستيل**" دهشتها؛ لأن ابنتها لم تستأذنها في ذلك.

فقال "**سيمون**":

– صبراً لحظة يا سيدة "**ستيل**".

ووضع السماعة، وصاح يحدث "**شيلا**":

– هل أنت واثقة بأن "**بولا**" ذهبت إلى السينما؟

فأطلت "**شيلا**" من باب المطبخ وأجابت:

– طبعاً واثقة..

– ولكن السيدة "**ستيل**" تقول إن ذلك عجيب.

– وما وجه العجب..؟

ولمعت عيناها مرة أخرى، ورد "**سيمون**" على السيدة "**ستيل**" ووضع السماعة، وعاد إلى السيد "**بريفورت**" وزوجته.. ووجدهما يتحدثان عن تليفزيون من طراز جديد ينتظر أن يحدث ضجة كبيرة، فاشترك معهما في الحديث، ولكنه كان شارد الذهن.

وحانت منه التفاتة إلى النافذة.. ولاحظ أن الظلام قد هبط مبكراً في هذه الليلة. وفكر في أنه ما كان ينبغي أن تظل "**بولا**" في الخارج إلى ما بعد حلول الظلام، ونظر إلى "**شيلا**" التي كانت وقتئذ تتحدث إلى السيدة "**بريفورت**"، وخيل إليه أن عينيها تلمعان أكثر مما ينبغي، وأن شفتيها أشد حمرة مما يجب وأنها تضحك كثيراً.

قالت:

– "**سيمون**"..

– نعم..

– لماذا أنت شارد الذهن..؟ لماذا لا تشترك معنا في الحديث..؟

– أنا آسف يا عزيزتي.. إنما كنت أفكر فيما قالته السيدة "**ستيل**".. وأتساءل.. ترى أين ذهبت "**بولا**".. حقًّا.

– أنا أعرف أين ذهبت يا "**سيمون**"..

وضحكت، وبدا كأن ضحكتها منبعثة من غرفة أخرى أو من عالم آخر..

ثم نهضت، وقالت إن الطعام قد أعد.

وتصدر "سيمون" المائدة، وجلست السيدة "بريفورت" عن يساره والسيد "بريفورت" عن يمينه، وأضاءت "شيلا" الشموع، ثم انطلقت إلى المطبخ. وعادت تحمل آنية كبيرة ينبعث منها الدخان.

ونظر "سيمون" إلى النافذة مرة أخرى.

كانت أوراق الخريف تتساقط على زجاجها.. فضم قبضة يده تحت المائدة بعنف..

خيل إليه أن "شيلا" تتكلم كثيراً.. وسمع آهة دهشة وسرور عبرت بها السيدة "بريفورت" عن إعجابها بالطعام الذي وضع أمامها..

وهتف السيد "بريفورت" وهو ينظر إلى البخار المتصاعد من طبقه..

– توابل.. إنني أحب التوابل بكل أنواعها.

وقالت السيدة "بريفورت" وهي تتذوق الطعام:

– آه.. رائع.. ما هذا الطبق بحق السماء..؟

فأجابت "شيلا":

– هذه وصفة احتفظ بسرها. وإن كنت أعترف بأنني لم أجربها قبل الآن.

فقال السيد "بريفورت":

– لقد نجحت التجربة.. وأي نجاح.

فقالت "شيلا":

– وأنت يا "سيمون".. ما رأيك؟

فذاق "سيمون" الطعام.. وخيل إليه أن توابله كثيرة وأن رائحة التوابل تخفي رائحة أخرى لم يستطع تمييزها.

قال:

– لا بأس به.

ولاحظ أن طبق "شيلا" خالٍ من الطعام فسألها:

– ألا.. ألا تأكلين..؟

– إنني لست جائعة..

– ولكنك تتناولين العشاء كل ليلة..

– هذا صحيح.

ولمعت عيناها مرة أخرى.

وسمع "سيمون" صراخ غلام في الخارج، فتذكر "بولا"، ومرت بجسده رعدة.. وتمنى لو أن ابنته كانت بالبيت.. وابتهل إلى الله في سره أن تنتهي الليلة بسلام، حتى إذا ظفر بالترقية، استطاع أن يتحدث إلى "شيلا" بغير مجاملة.. وأن يضعها في مصحة تقضي بها بقية حياتها.. ثم يبيع البيت، ويأخذ "بولا" ويقيم معها عند "أيدا".

قالت "شيلا":

– إنك لا تأكل يا "سيمون".

– إن الطعام رائع.. رائع جداً..

ولكنه لم يكن جائعاً.. وكان يعاف الأطعمة غير المألوفة.. وإذا كان قد طلب إلى "شيلا" أن تطهو لوناً جديداً من الطعام.. فإنه لم يفعل ذلك إلا إكراماً للسيد "بريفورت" وزوجته.

وملأ ملعقة أخرى مما في طبقه.. ورأى في الملعقة شعرة طويلة شقراء.. فالتقطها خلسة وبلا تقزز، ظناً منه أنها شعرة من رأس "بولا"؛ لأن شعر "شيلا" شديد السواد..

وسمع صوت اهتزاز أغصان الشجر تحت ضربات الريح في الخارج. ثم صوت السيد "بريفورت" وهو يقول:

– نعم.. أريد مزيداً من هذا الحساء..

وقالت السيدة "**بريفورت**" :

– يجب أن تعطيني هذه الوصفة يا "**شيلا**" .. إنها تتألف من البصل والفلفل والكاري.. و.. ولكن ما نوع هذا اللحم..؟

فضحكت "**شيلا**"، ورفع "**سيمون**" الملعقة إلى فمه وقضم قطعة من اللحم.. وتعثرت أسنانه بشيء ما إن أخرجه وتأمله حتى وجد أنه ظفر..

ظفر صغير مستدير لم يتبين كنهه في البداية.. ولما تبينه لم يلق إليه بالاً إلى أن رأى "**شيلا**" تنظر إليه وتبتسم.

سألته:

– هل من شيء أيها العزيز..؟

– إنما ظننت أن..

– لا تنزعج أيها العزيز.. إنني أعرف أين "**بولا**"..

– طبعًا.. طبعًا..

ووضع الظفر بجانب الطبق.. ونظر إليه بعينين زائغتين.. وتذكر كلام "**شيلا**" حين قالت: «إنك لن تستطيع الاستئثار بـ"**بولا**"...

ثم أقوالها الأخرى: "أنا أعرف أين هي..؟ هذه وصفة سرية.. أخرج صندوق القمامة ولا تفتحه وإلا شعرت بالغثيان..".

إنها تضحك كثيراً.. وعيناها تلمعان بشدة.. وقد رفضت تناول العشاء خلافًا للعادة.. إن شعرها أسود وأظافرها طويلة وذات طلاء أحمر..

وهو يعلم أنها تضيق بحبه المفرط لـ"**بولا**".. ولكن أين "**بولا**"..؟ كان يجب أن تكون هنا الآن..

ثم لماذا ترتجف يده.. وما هذا الدوار الذي يشعر به؟

*****

كان ذهنه يضطرب بكل هذه الخواطر والأفكار عندما سمع السيدة "**بريفورت**" تسأل:

– أهذا لحم دجاج..؟

– كلا.

– ضأن..؟

– كلا..

– عجول..؟

فقالت "**شيلا**" :

– كلا..

ثم التفتت إلى زوجها وقالت وهي تبتسم:

– هل لك أن تخمن يا "**سيمون**"..؟ أم أنك خمنت عندما حملت صندوق القمامة..؟

فصرخ "**سيمون**"، ووثب من مقعده أمام المائدة وهو يصرخ واندفع إلى الباب الخارجي وإلى الظلام والريح وهو لا يزال يصرخ:

– "**بولا**".. "**بولا**"..

وعاد إلى البيت، وجرى إلى المطبخ، وفتح بابه الخلفي، ورفع غطاء صندوق القمامة.. وأطل فيه، وشعر بدوار وغثيان.. وترك الغطاء يسقط على الأرض.. هتف وهو يستند إلى الجدار:

– يا إلهي..! يا إلهي..! يا إلهي..

ومشى إلى البهو وهو يترنح.. ورأى السيد "**بريفورت**" وزوجته يهرولان إلى الخارج، ويتحدثان عن استدعاء سيارة أجرة.

وكان لا يزال يترنح ويصرخ عندما أقبلت عليه "**شيلا**" وهي تقول:

– أرأيت ماذا فعلت يا "**سيمون**"..؟ لا أظنهما يعتقدان الآن أننا أسرة

سعيدة..

ولكنه صاح:

– أنت مجنونة.. مجنونة تمامًا.. ستذهبين الآن إلى المصحة بغير عودة.. يا إلهي.. يا إلهي..

وهجم على آلة التليفون.. وأدار القرص بأصابع مرتجفة، وتحدث بعبارات مضطربة:

– أهذا أنت يا دكتور "**بيرمان**"..؟ حدث شيء مخيف.. لم أتوقعه قط.. أرسل رجالك الأشداء مع عربة إسعاف.. يا إلهي..

وأسند رأسه إلى سماعة التليفون وانخرط في البكاء:

✽✽✽✽✽

قال الدكتور "**بيرمان**" بعد أن أخرج المريض عنوة رغم صراخه واحتجاجه:

– هذا مخيف حقًا..؟

– ولكن لماذا حدث ذلك.. لماذا..؟

فهز الطبيب كتفيه وأجاب:

– هذه أمور يتعذر تفسيرها.. إنها تحدث دون مقدمات.. وبلا أعراض مسبقة.. ولا يمكن التنبؤ بها.

– ولكن لماذا الليلة..؟ لماذا لم يحدث ذلك في أي وقت آخر.. هذه الليلة لها أهمية خاصة.

– لا أعلم..

واستطرد الطبيب قائلاً وهو يسير ببطء نحو الباب:

– سنبذل قصارى جهدنا بطبيعة الحال.. ولابد في البداية أن يظل موثقًا بعض الوقت.. ثم يبدأ العلاج بعد ذلك ولا أعلم كم سيستمر..

وفتح الباب وقال قبل أن يخرج:

– وكيف حال فتاتي المحبوبة..؟

فقالت "**بولا**" وهي تخرج من غرفتها:

– إنني في خير حال.. شكرًا.

✽✽✽✽✽

وانصرف الطبيب وقالت "**بولا**":

– أعتقد أن "**سوزان**" ستجد نفسها في موقف عصيب؛ لأنها ذهبت إلى السينما دون استئذان أمها.

ثم أجالت البصر حولها وسألت:

– أين أبي..؟

فأجابت "**شيلا**":

– إنه ذهب.

– هل سيطول غيابه..؟

– أعتقد ذلك.

– قال إنك ستذهبين، ولكني سعيدة لأنه هو الذي ذهب.

فقالت "**شيلا**" وهي تجفف دموعها:

– أحقًا أيتها العزيزة..؟

فأومأت "**بولا**" برأسها علامة الإيجاب ثم قالت:

– إنني جائعة.

– وأنا كذلك.

وجلستا إلى المائدة، وملأت "**شيلا**" طبقيهما مما في الوعاء، وكان لا يزال دافئًا.

وقالت "بولا" بعد أول رشفة:

– رائع..! ما هذا..؟

– خمني..

– دجاج..؟

– كلا..

– ضأن..؟

– كلا.

– ما هو إذن..؟

فأجابت "شيلا" وهي تبتسم لابنتها:

– وصفة خاصة.

تمت بعون الله

شروع في جريمة

تعودت "**سامانتا ويندرس**" أن تعبر عن مشاعرها بصراحة ولا تبالي.

قالت لأخيها:

– ألا تستطيع أن تذكر شيئًا أيها الغبي..؟

وكان "**هومر ويندرس**" أقصر منها قامة وأضأل حجمًا، ولكن شتائم أخته العانس وعباراتها اللاذعة الجارحة كانت تزيده انكماشًا وضآلة.

كانت تعامله دائمًا كما لو كان متخلفًا عقليًا، ولم يحاول أن يحتج أو يعارض.. إن قضاء سنوات طويلة تحت نيرها وسطوتها جعلت من هذه المعاملة شيئًا مألوفًا..

وعلى الرغم من أن "**سامانتا**" كانت أطول منه قامة وأثقل وزنًا، إلا أنها لم تستخدم قط تفوقها البدني..

لقد همت مرارًا بأن تضربه.. وكان مجرد التفكير في ذلك يثير فزعه وذعره.

كان واثقًا بأنه سيكون بلا حول ولا قوة.. إذا نشبت بينهما معركة وتماسكا بالأيدي.

قال لها في هدوء:

– لا يزال لدينا متسع من الوقت لسداد قسط التأمين.. وأعدك بأن أبعث به إلى الشركة بعد الغداء..

فصاحت "**سامانتا**":

– بل ستبعث به الآن.. وفورًا.. إذا أردت أن تتناول طعامك.. وإياك أن تنسى مكان صندوق البريد..

فأجاب "**هومر**" بجرأة غير مألوفة:

– إنني أعرف كيف أضع رسالة في صندوق البريد دون حاجة إلى

تعليماتك..

ولكن لم يتمالك من الانكماش تحت نظراتها النارية.

لقد حدث في مناسبات قليلة انه رد عليها بخشونة وعنف، ولكنه كان دائماً يأسف على انه فعل ذلك، لانها كانت تحيل حياته في الأيام التالية إلى جحيم.

أسرع بالاختفاء من أمامها قبل أن تصوب إليه نيران مدفعيتها الثقيلة، ولكن صوتها طارده وهو يهم بالخروج..

كانت تصيح:

– انظر حولك قبل ان تعبر الطريق أيها الغبي. يهمني أن تصل إلى صندوق البريد سالماً، ولكن لا يهمني أن تسقط ميتاً في طريق العودة.

وتنهد "**هومر**".. لا شك في أنها ستتنفس الصعداء إذا مات... ولكن لماذا يحتمل هذه المعاملة.. ويسكت على هذه الإهانات..؟

ولم يتعذر عليه معرفة الجواب..

إنه التعود..

كانت أخته تسيطر عليه في حياة والديه، فلما ماتا منذ خمسة عشر عاماً، قويت شوكتها، وزاد طغيانها، واشتدت قبضتها على حياته.. حتى محت شخصيته وقضت تماماً على مقاومته.

قال لنفسه وهو يتبع تعليمات اخته وينظر حوله قبل أن يعبر الشارع: "ليس من الإنصاف لرجل حرص على تجنب الزواج أن يجد نفسه عبداً لامرأة.. بل إنه اكثر رجال المدينة كلها عبودية".

وعبر الطريق.. وهو ما يزال يقول لنفسه: "ما أحب الموت للخلاص من "**سامانتا**"..!"

وكان يتمنى ان تتحقق آمال "**سامانتا**" فيسقط ميتاً في عرض الطريق.. لولا

ان خطر له خاطر فجائي فقال لنفسه: "ألن تكون الحياة أفضل إذا ماتت "**سامانتا**"..؟"

وأسعده هذا الخاطر وملاه سروراً، فمر بصندوق البريد دون أن يشعر..

وتوقف في الطريق ليفكر في نوع المهمة التي أوفدته إليها "**سامانتا**".. ثم شعر بالرسالة التي بيده وخجل من نفسه وعاد أدراجه إلى صندوق البريد فالقى بالرسالة فيه، وقفل راجعاً إلى البيت.

وراوده ذلك الخاطر والح عليه إلحاحاً شديداً، فتخيل كم سيكون سعيداً في بيت هادئ صامت، يستطيع أن يستمتع فيه بحرية، فيدخن في أية غرفة يريد، ويضع في الثلاجة ما شاء من زجاجات الجعة.. ويسير في ثيابه الداخلية متى أراد.

وانصرف بكل حواسه إلى هذا الوهم، فتخيل أن "**سامانتا**" قد ماتت وانه شيعها إلى مقرها الأخير، وانه حول مخدعها إلى غرفة انيقة لاستقبال الحسناوات.. وبلغ من استغراقه في أحلام اليقظة انه بهت حين فتح الباب ووجد "**سامانتا**" أمامه.

صاحت به:

– ماذا دهاك..؟ تبدو كانك على وشك الإغماء..

– إنني.. إنني أشعر بوعكة.

وصعد إلى غرفته وقد صدمه الانتقال من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة.

نظر إلى وجهه الشاحب في المرآة.. وشعر بان هذه الحقيقة التي لا تحتمل ولا تطاق سوف تستمر ما دامت "**سامانتا**" على قيد الحياة.

وراودته فكرة قتل أخته ببساطة، ودون أن يشعر بأية صدمة عاطفية.

كان رد الفعل الوحيد، هو الدهشة لانه لم يفكر قبل الآن في قتلها.

ولكنه اكتشف لسوء الحظ أن هناك فجوة كبيرة بين اتخاذ قرار بارتكاب

جريمة قتل وتنفيذ هذا القرار، على أن هذا الاكتشاف لم يكن فجائيًا..

وفي ذلك المساء، بينما كان يعد قدحًا من الكاكاو لـ "**سامانتا**" كما اعتاد أن يفعل كل مساء تبلورت أفكاره، ونضجت خطته بسهولة عجيبة.

كان تنفيذ الجريمة بإحدى الوسائل العنيفة كالخنق مثلاً أمرًا مستبعدًا لسبب بسيط هو أن "**سامانتا**" كانت أضخم منه وأقوى.

كذلك استبعد المسدس والخنجر؛ لأنه لا يريد أن يتهم بقتلها ويشنق.

وفكر في حادث مميت يقضي عليها، ولكنه سرعان ما نبذ الفكرة لنفس الأسباب التي حملته على نبذ فكرة الخنق؛ إذ إن أية محاولة لإلقائها من النافذة أو على السلم يمكن أن تنتهي بأن يصبح هو الضحية.

وبعد أن استعرض كل وسائل القتل، وقع اختياره على السم باعتباره أفضل وسيلة من الناحية العملية. وبينما كان وهو يحمل الكاكاو إلى غرفة "**سامانتا**"، تفتق ذهنه عن الطريقة التي يدس بها السم لها.

رأى "**سامانتا**" وهي تتناول القدح وتختبر مدى دفء الكاكاو.. ثم رآها تضع صحفة على الأرض وتسكب فيها قليلاً من الكاكاو..

وما إن فعلت ذلك حتى وثب القط من مكانه في النافذة ومشى مختالاً إلى حيث كانت الصحفة، فلعق قليلاً مما فيها وربض بجوارها في انتظار أن يبرد الكاكاو..

وهنا أحس "**هومر**" بأن اعتياد "**سامانتا**" اقتسام الكاكاو مع القط يشكل عقبة لا يجوز إغفالها.. ولكنها عقبة يمكن التغلب عليها.. فقد كانت "**سامانتا**" تحب الكاكاو دافئًا، وكان القط يحبه باردًا.. وكانت "**سامانتا**" تأتي على ما في القدح قبل أن يبدأ القط في تناول نصيبه.

في استطاعته إذن أن ينتظر حتى تشرب أخته الكاكاو المسموم وتموت، ثم يسارع إلى رفع الصحفة من أمام القط.

وفي اليوم التالي، لم يتناول "**هومر**" طعام الغداء في مقر عمله كما اعتاد أن يفعل، وإنما قصد إلى إحدى المكتبات العامة، وطلب بعض الكتب التي تتحدث عن السموم وخصائصها، وخلص من أبحاثه إلى أن "**سيانيد البوتاسيوم**" هو أفضل السموم جميعًا لسببين.. أولهما لأن مفعوله سريع ومؤكد، والثاني لأن أعراضه تشبه أعراض الأزمة القلبية..

ولم يشأ أن يتناول طعام الغداء قبل أن يحاول الحصول على السم..

كان يعلم بطريقة مبهمة أن القانون يضع قيودًا على بيع العقاقير السامة، ولكنه كان على استعداد للإجابة عن أي سؤال يلقى عليه عن غرضه من شراء الـ"**السيانيد**"..

كذلك كان يتوقع أن يطلب إليه التوقيع باسمه على سجل ما؛ ولذلك قصد إلى صيدلية في الضواحي، وفي نيته أن يوقع على السجل باسم مستعار.

ولكنه لم يتوقع قط أن يجد نفسه في طريق مسدود.

قال "**هومر**" للصيدلي بصوت خافت إنه يريد بعض "**سيانيد البوتاسيوم**" لاستخدامه في قتل الفيران، وابتسم الصيدلي بلطف وأجاب:

– لا يمكنك شراء "**السيانيد**" أو أي عقار سام إلا بروشتة من طبيب.. بذلك يقضي القانون.. ولكني ساعطيك مادة أخرى تقتل الفيران.

وقدم إليه علبة صغيرة كتب عليها "سم للفيران" فنظر "**هومر**" إلى العلبة وسأل:

– هل لابد من روشتة لشراء هذا السم..؟

فهز الصيدلي رأسه سلبًا وقال:

– الروشتة للعقاقير السامة التي يمكن أن يتناولها الإنسان.

– وسم الفيران هذا.. أليس سامًا؟

– بلى.. ولكن أين الإنسان الذي يستطيع ابتلاعه..؟ إنه يحتوي على مادة

الفوسفور الأبيض وهي سم قاتل، ولكنها لا تستقر في جوف الإنسان.. إنه يلفظها على الفور.. أما الفار فلا يستطيع أن يلفظ ما يصل إلى جوفه..

إن هدف القانون من فرض قيود على بيع السموم هو منع ارتكاب جرائم القتل بالسم. ولكن أحداً لا يستطيع أن يدس سم الفيران في طعام ضحيته.. ذلك أن الضحية تشعر به على الفور لأنه يحرق الشفتين واللسان وكل مكان يصل إليه.

– آه.. فهمت.. كم ثمن هذا..؟

ودفع "**هومر**" الثمن، وشكر الصيدلي في سره على أن أدلى إليه بهذه المعلومات المفيدة.

هذا السم إذن لن يصلح لقتل "**سامانتا**"؛ لأنها تتذوق الكاكاو قبل أن تحتسيه، وإذا اكتشفت أنه أراد تسميمها فقد لا تتردد في إرغامه على تناوله. والقى بالسم في أول بالوعة صادفته.

ولما كان "**هومر**" رجلاً ضيق الأفق قليل الحيلة، فقد أطاح هذا الحديث بكل خططه ومشروعاته.. أو على الأقل جمدها إلى حين؛ لأنه لم يكن يعرف مكاناً آخر للحصول على السم غير الصيدليات..

وهكذا ظلت الجريمة مجرد فكرة.. وتوقفت كل محاولة لتنفيذها، وارتد "**هومر**" إلى عالم الأحلام والأوهام.. وإلى سيرته الأولى..

ظل "**هومر**" خمسة وعشرين عاماً يحمل لقب كبير الكتاب في شركة "**مارو وفانر**" للأعمال الفضائية. وهو لقب فخري يتجاوز أهمية الوظيفة، فقد كان كبيراً للكتاب؛ لأنه الكاتب الوحيد في الشركة.. وكان عمله في الواقع لا يختلف عن عمل سعاة المكاتب.

وفي يوم الجمعة من كل أسبوع، كان يعطي نصف أجره لـ"**سامانتا**" ويحتفظ بالنصف الآخر لمصاريف الانتقال ونفقاته الشخصية وقسط التأمين.

وقد كان في استطاعته أن يعيش عشرات السنين وموضوع قتل "**سامانتا**" يحتل تفكيره، دون أن يخطو خطوة لتنفيذه، لولا أن هيأت له "**سامانتا**" فرصة للعمل.

ذلك أنها أصيبت ببرد مصحوب بارتفاع في درجة الحرارة فعادها طبيب الأسرة، ووصف لها الدواء في ورقتين من دفتر روشتاته. ولما أمرته "**سامانتا**" بإحضار الدواء، كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساء، وكانت الصيدليات الثلاث بالحي قد أغلقت أبوابها..

وكان اليوم التالي يوم سبت، ولم يكن "**هومر**" يعمل في ذلك اليوم فانطلق بعد الفطور لشراء الدواء.. ووجد لديه متسعاً من الوقت لإلقاء نظرة على الروشتة فاكتشف أن الطبيب قد وصف الدواء في ورقتين ولكنه انتزع من دفتره معهما ورقة ثالثة بيضاء تحمل اسمه وعنوانه.

ووقع بصر "**هومر**" في الورقة الأولى على العبارة التالية:

30 قرص كودايين نصف جرام.

كانت كتابة الروشتات لغزاً بالنسبة إليه، على أنه تبين كلمة (كودايين) وتذكر أنه قرأ هذه الكلمة عندما كان يبحث عن السموم، غير أنه لم يذكر هل هو سم خطير أو غير خطير.

أسرع إلى مكتبة عامة قريبة، ووجد أن الكودايين يستخدم كعلاج للسعال، وأنه أحد مشتقات المورفين، وأحد قلويات الأفيون.. ولم يجد ما يشير إلى أنه سم خطير.. ولا ما هي الكمية التي يمكن أن تقتل الإنسان.. ولكنه كان موقناً أن جرعة كبيرة منه لابد أن تشكل خطراً على حياة من يتناولها.

وأخرج قلمه، ونقل على الروشتة البيضاء السطر الأول من روشتة الطبيب، وهو السطر الخاص بأقراص الكودايين، وفعل ذلك بخط يشبه خط الطبيب، وزيف إمضاءه تزييفاً دقيقاً.. وتنفس الصعداء.

إن الثلاثين قرصًا تزن خمسة عشر جرامًا، وهي كمية كبيرة تكفي لقتل **"سامانتا"** إذا هي تناولتها دفعة واحدة..

وقصد إلى إحدى الصيدليات، وحصل على الدواء الذي أوصى به الطبيب، ثم قصد إلى صيدلية أخرى لا يعرفه صاحبها وقدم الروشتة المزيفة، وحصل على أقراص الكودايين..

ولما عاد إلى البيت، قابلته **"سامانتا"** بسيل من السباب؛ لأنه تأخر في إحضار الدواء ولكنه تلقى سبابها بصدر رحب، وكانت أقراص الكودايين الإضافية التي أخفاها في جيبه خير عزاء له.

ولأول مرة منذ عدة أسابيع لم يستغرق **"هومر"** في أحلام اليقظة.. كانت في ذهنه خطة عمل محددة.. يتطلب تنفيذها يقظة تامة.

وعلى مائدة العشاء، لم تكف **"سامانتا"** عن الحديث في موضوعها المفضل، وهو لماذا لا يصنع لها **"هومر"** معروفًا ويسقط ميتًا.. ولكنها صمتت بعد العشاء صمتًا تامًا ملأ قلبه ذعرًا فلم يجرؤ على فتح فمه.

وأخيرًا نطقت **"سامانتا"** بالعبارة التي كان ينتظرها بفارغ الصبر.

- لا مانع لدي من أن أتناول الكاكاو الآن.. إذا.. إذا كان لديك الذكاء لإعداده.

وأعد **"هومر"** الكاكاو وسكبه في القدح، ثم تناول أقراص الكودايين وطحنها جيدًا، ووضع مسحوقها في الكاكاو.. وحركه بملعقة حتى ذاب تمامًا..

ولكنه ما كاد يتذوق الكاكاو حتى وجد مذاقه شديد المرارة، فأضاف إليه ملعقتين من السكر، فكانت النتيجة مرضية.

حمل الكاكاو إلى **"سامانتا"** فسكبت بعضه في صحفة كالعادة، وكالعادة كذلك وثب القط من مكانه على حافة النافذة، ومشى إلى الصحفة ولعق الكاكاو ليختبر سخونته.. ولكنه بدلاً من أن يقبع بجانبه حتى يبرد، أقبل عليه

يلتهمه بشراهة حتى أتى على كل ما في الصحفة.

ونظر **"هومر"** إلى القط في ذعر، وأدرك أن الوقت الذي قضاه في سحق الأقراص، قد سمح للكاكاو أن يبرد بحيث يطيقه لسان القط..

- أما **"سامانتا"** فإنها ارتشفت قليلاً من الكاكاو وانفجرت صارخة..

- أيها الغبي ألا تستطيع أن تفعل شيئًا كما ينبغي؟ إن الكاكاو فاتر.. عد به إلى المطبخ وصب الكاكاو في إناء وضعه على الموقد وأشعل النار وانتظر حتى تراه يغلي.

ففعل ذلك ثم سكب الكاكاو في القدح وأسرع به إلى **"سامانتا"**.

وتناولت **"سامانتا"** رشفة من الكاكاو لتختبر سخونته ثم وضعت القدح جانبًا وتركته ليبرد.

ولكن **"هومر"** كان في شغل عما تفعله أخته بمراقبة القط.. وراح ينظر إليه في هلع ويبتهل إلى الله في سره ألا يحدث له شيء قبل أن تحتسي أخته قدحها.

ومرت الدقائق ببطء.. وعاد القط إلى مكانه على حافة النافذة..

وأخيرًا رفعت **"سامانتا"** القدح إلى شفتيها فتنفس **"هومر"** الصعداء..

وقبل أن تتناول **"سامانتا"** أول رشفة، سمعت القط يموء، فقالت تحدثه في ضجر وفروغ صبر:

- حسنًا.. حسنًا.. إليك المزيد..

وسكبت قليلاً من الكاكاو في القدح، فوثب القط من مكانه ومشى نحوها..

ولكنه ما كاد يقترب من الصحفة حتى اضطربت مشيته وانثنت ساقاه الأماميتان..

ونظرت **"سامانتا"** إلى القط وفي عينيها حيرة ودهشة، وحملق **"هومر"** في هلع بينما حاول القط النهوض وخطا خطوة أخرى ثم ترنح وسقط على جنبه

وقد تقلصت أعضاؤه وثقلت أنفاسه.

وتحولت عينا "**ساماتتا**" عن القط إلى أخيها، وقالت وهي ترمقه بنظرة كالفولاذ:

- اشرب هذا الكاكاو بدلاً مني يا "**هومر**".

فتمتم "**هومر**" بعبارات غير مفهومة، وقالت "**ساماتتا**" بصوت هادئ يدل على الارتياح:

- إنك حاولت قتلي.. أليس كذلك..؟

فحملق نحوها في ذهول.. واستطردت "**ساماتتا**" قائلة بلطف:

- يا أخي العزيز.. هذه لعبة يستطيع اثنان أن يلعباها.

وفهم معنى ارتياحها الفجائي..

لقد وجدت في محاولته المبرر الأخلاقي الذي كانت بحاجة إليه لتحقيق الأمنية التي طالما عبرت عنها..

وعرف "**هومر**" أنه قد ضاع.

لم تكن لديه فكرة للحصول على كمية أخرى من السم، أو خطة للقتل بوسيلة أخرى غير السم.

أما "**ساماتتا**" فكانت على عكس ذلك.. فهي ذات كفاءة عالية.. وتستطيع أن تضع كثيراً من الخطط تكفي أية واحدة منها لأداء الغرض المطلوب.

تمت بعون الله